وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

صراع السلطة في البيت الأيوبي بعد صلاح الدين وأثره في الحروب الصليبية

رسالة تقدم بها الطالب
غالب محمود سعيد سمين
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة ماجستير
أداب في التاريخ الإسلامي

بإشراف
الأستاذ الدكتور
عاصم إسماعيل كنعان العباسي

1435/هـ 2014م

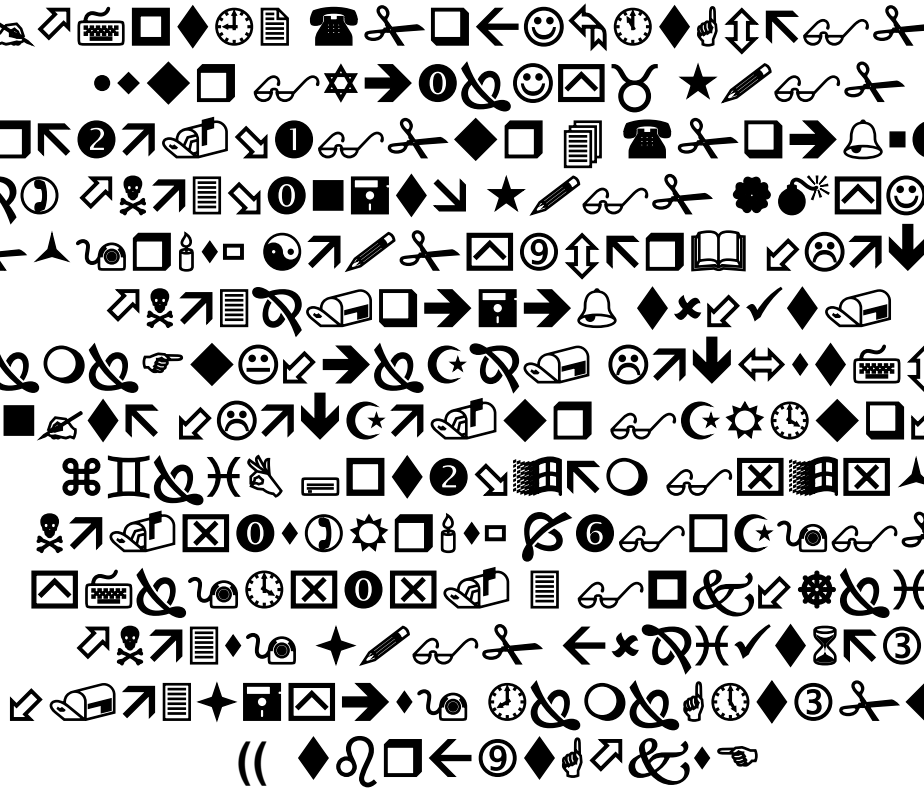

(آل عمران :103)

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ

((صراع السلطة في البيت الأيوبي بعد صلاح الدين وأثره في الحروب الصليبية))

التي تقدم بها طالب الماجستير (غالب محمود سعيد سمين) قد جرت تحت إشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التأريخ الإسلامي .

التوقيع :

المشرف : أ.د عاصم إسماعيل كنعان العباسي

التاريخ : / / 2014

بناءً على التعليمات والتوصيات المتوافرة نرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :

رئيس قسم التاريخ : أ.م.د عبد الخالق خميس علي

التاريخ : / / 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار الخبير اللغوي

أشهد أنَّ هذه الرسالة الموسومة بـ (**صراع السلطة في البيت الأيوبي بعد صلاح الدين وأثره في الحروب الصليبية**) المقدمة من قبل الطالب (**غالب محمود سعيد سمين**) ، تخصص التاريخ الإسلامي قد حصل تقويمها لغوياً من قبلي ، وعليه أرشح هذه الرسالة للمناقشة من الناحية اللغوية إذ أصبحت بأسلوب علمي سليم خالٍ من الأغلاط والتعبيرات اللغوية غير الصحيحة ولأجله وقعت.

التوقيع :

الاسم :محمد صالح ياسين

المرتبة العلمية :

التاريخ : / / 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار الخبير العلمي

أشهد أن هذه الرسالة الموسومة بـ (**صراع السلطة في البيت الأيوبي بعد صلاح الدين وأثره في الحروب الصليبية**) المقدمة من قبل الطالب (**غالب محمود سعيد سمين**) ، تخصص التاريخ الإسلامي قد حصل تقويمها علمياً من قبلي ، وعليه أرشح هذه الرسالة للمناقشة من الناحية العلمية إذ أصبحت بأسلوبٍ علمي سليم .

التوقيع :

الاسم : مشتاق كاظم عاكول

المرتبة العلمية :

التاريخ : / / 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة إطلعنا على الرسالة الموسومة بـ **(صراع السلطة في البيت الأيوبي بعد صلاح الدين وأثره في الحروب الصليبية)** ، وقد ناقشنا الطالب (غالب محمود سعيد سمين) في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ونقر أنها جديرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، وبتقدير ( ) .

التوقيع :
الاسم :أ.م.د داود سلمان خلف
التاريخ : / / 2014
عضواً

التوقيع :
الاسم : أ.م.د محمد عبد مرزوك
التاريخ : / / 2014
عضواَ

التوقيع :
الاسم :أ.د عاصم إسماعيل كنعان العباسي
التاريخ : / / 2014
عضواً ومشرفاً

التوقيع :
الاسم : أ.م.د عبدالخالق خميس علي
التاريخ : / / 2014
رئيس اللجنة

صدقت الرسالة من قبل مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى بتاريخ / /2014

أ . م . د نصيف جاسم محمد الخفاجي
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية/وكالة
/ /2014

الإهداء

إلـى .. المبعـوث رحمـة للعـالمين سـيد الخلـق ومعلـم البشـرية الحبيـب المصطفى أبي القاسم محمد ﷺ .

إلى .. صحابة رسول الله ﷺ والتابعين رضى الله عنهم .

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(آل عمران: الآية110)

إلى .. روح أخي الأستاذ سامان غالب رحيم

إلى .. روح المحاسب الأمين عبد الستار حميد

إلى .. روح الكهربائي الصادق عامر عبد الستار حميد

وأردد في رحيلكم مقولة الأستاذ طالب مشتاق

أسفي على خسارةِ العراق ... في رجالاتِ العراق

أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث

شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره على توفيقهِ ومَنَّه الذي يسر لي إتمام هذه الرسالة ، أتقدم بوافر الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل (الدكتور عاصم إسماعيل كنعان العباسي) الذي تفضل مشكوراً بالإشرافِ على رسالتي ، ولم يدخر جهداً في إبداء ملحوظاته وتوجيهاته القيمة التي كان لها أثراً طيباً في إنجاز هذه الدراسة ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وأطال في عمره ، وأبقاه ذخراً لنا .

وأتقدم بالشكر الجزيل لرئيس وأساتذة قسم التاريخ الأفاضل الذين تتلمذت على أيديهم الكريمة جميعاً ، وأخص بالذكر منهم الدكتورة سميعة عزيز محمود التي كانت دائماً توجهنا وتنصحنا ، وكنا نشغلها بهمومنا ومتاعبنا في السنة التحضيرية ، ولا يسعنا إلاَّ أن ندعو الله أن يمن عليها بالصحة والعافية وطول العمر .

كما أتقدم بالشكر لجميع العاملين في مكتبة جامعة ديالى ، وإلى كل مَن قدم لي مساعدة أو أسدى إليَّ نصيحة داعياً الله عز وجل أن يحفظهم ويمن عليهم بالصحة والعافية .

كما لا يفوتني أن أشكر زملائي في الدراسة ، فهم خير عون أنعم الله عليَّ بهم ، وإلى من خطت أنامله هذه الرسالة لإخراجها بهذا الشكل البسيط ، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأخيراً لا يسعني أن أعبر عن خالص شكري وتقديري لعائلتي الكريمة ودعمهم اللامحدود لي معنوياً ومادياً ، فجزاهم الله عني خير الجزاء .

الباحث

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
إقرار المشرف	أ
إقرار الخبير اللغوي	ب
إقرار الخبير العلمي	ج
إقرار لجنة المناقشة	د
الإهداء	هـ
الشكر والتقدير	و
المقدمة ونطاق البحث	1-6
الفصل الأول : الأسرة الأيوبية وبدايات تأسيس الدولة	7-50
المبحث الأول : ظهور الأسرة الأيوبية على مسرح الأحداث السياسية	7-24
أولاً . الأسرة الأيوبية	7-15
1 . النسب	7-12
2 . دور نجم الدين أيوب في تثبيت جذور الأسرة	12-15
3 . صلاح الدين الأيوبي	15-17
ثانياً . علاقة عماد الدين زنكي مع نجم الدين أيوب	17-19
ثالثاً . السمات الخاصة للأسرة الأيوبية	20-21
رابعاً . المراحل التاريخية للأسرة الأيوبية	21-24
المبحث الثاني: صلاح الدين وخطوات الضرورية لتثبيت حكمه على مصر	25-50
أولاً . إصلاحات صلاح الدين	25-28
1- الإصلاح في الجانب العسكري	25-26
2- الإصلاح في الجانب الاقتصادي	26-27
3- الإصلاح في الجانب السياسي	27-28
ثانياً . إجراءات صلاح الدين السياسية والعسكرية	**28-31**
1- سياسته تجاه بلاد النوبة	28-29
2- سياسته تجاه اليمن	29-30
3- سياسته تجاه المغرب الأدنى	30-31

الموضوع	رقم الصفحة
ثالثاً. علاقة صلاح الدين بالخلافة العباسية	34-31
رابعاً . علاقة صلاح الدين بـ(آل زنكي)	39-34
خامساً . علاقة صلاح الدين بالصليبيين	50-39
الفصل الثاني : الدولة الأيوبية وبداية الانهيار المبكر	77-50
المبحث الأول : الدولة الأيوبية والتفكك الكبير	56-51
أولاً . وفاة صلاح الدين	52-51
ثانياً . تقسيم الدولة	54-52
ثالثاً . التحديات التي واجهت الدولة الأيوبية	56-54
المبحث الثاني : الدولة الأيوبية ومعركة الصراع على البقاء	77-57
أولاً . صراع السلطة في عهد صلاح الدين (564-589هـ/1169-1193م)	63-57
ثانياً . صراع السلطة بعد وفاة صلاح الدين	77-63
الفصل الثالث : صراع السلطة بين أبناء البيت الأيوبي بداية النهاية لحكمهم	100-78
المبحث الاول : صراع الملك العادل مع ابناء صلاح الدين من أجل تأسيس الزعامة	81-78
أولاً . الملك العادل وحسم الصراع مع الملك الظاهر غازي	80-78
ثانياً . مؤامرة الأفضل الأخيرة	81-80
المبحث الثاني : صراع السلطة والتأثيرات الخطيرة على سياسة الدولة الأيوبية	100-82
أولاً . تأثيرها على مجريات الجهاد مع الصليبين	88-82
ثانياً . أثرها على الدولة الأيوبية	93-89
ثالثاً . صراع السلطة في الدولة الأيوبية على المدى القصير خسارة عكا (587هـ/1191م)	95-93
رابعاً . أثر صراع السلطة في البيت الأيوبي على المدى الطويل	100-95
الخاتمة	102-101
الملاحق	111-103
قائمة المصادر والمراجع	134-112
ملخص الرسالة باللغة الانكليزية	3-1

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة ونطاق البحث وعرض المصادر:

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً يوافي نعمه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين وأصحابه الغرّ الميامين وعلى مَن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

وبعد : فأن تأريخ الدولة الأيوبية له ارتباط وثيق وعلاقة بتأريخ الحروب الصليبية في الشرق الاسلامي ، ويمثل حقبة ذات أثرٍ كبيرٍ ومغزى خطير ، لذلك عنى بها الباحثون ممن درسوا هذه المده، وقد ركزت جل الدراسات عن الحروب الصليبية على الصراع الصليبي الإسلامي ، فظهرت لذلك دراسات كثيرة في هذا المجال ، وفي ذات الوقت أهملت أو تغافلت اوغضت الطرف عن الاهتمام بالصراعات الداخلية التي تخص الجانب الأيوبي ، وهذا تقصير من جانب الباحث المسلم ، ومن هنا تأتي اهمية الموضوع لسد النقص وإلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب ذلك الصراع الذي ظلت اغلب تفاصيله خافية عن القراء مما تحتاج الى البحث والتقصي ولاسيما؟ وان ما ورد في سياق بعض الأبحاث من جوانب تخص الموضوع لم تكن متكاملة ، فضلاً عن ذلك فأن أهمية الموضوع تكمن في الوصول الى إجابات لأسئلة كثيرة منها المسؤولية التي تقع على عاتق السلطان صلاح الدين في أنفجار الصراع بين أبنائه فيما بعد؟ ، وما حجم الدور الذي لعبه المماليك في إسقاط الدولة الأيوبية؟ ، وهذا ما دعاني الى اختيار الموضوع .

ولقد القى تداخل الأحداث وتشابكها ظلاً ثقيلاً على هذه الدراسة تمثل بصعوبة الوقوف على جزئياتها لصلتها بغيرها, وتوضيف ذلك مع المحورالرئيس الذي يدور عليه البحث, لذلك جهدت على بيانه مانجم من الاحداث ذات الصلة بغيره بطريقة اوضحت للقارى الكريم تفاصيلها بصورة ادق .

إذ تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة مع بعض الملاحق الخاصة بآل زنكي والفاطميين والأيوبيين مع ثبت بالمصادر والمراجع وملخص للرسالة باللغة الانكليزية .

وقد ضم الفصل الأول مبحثين تناول الأول نسب الأسرة الأيوبية واختلاف المؤرخين في أصل هذه الأسرة ودور نجم الدين أيوب في بقائها ، وكذلك ولادة صلاح الدين ونشأته ، وبعض السمات الخاصة لهذه الأسرة والمراحل التأريخية التي مرت بها .
اما المبحث الثاني فقد اهتم بإصلاحات صلاح الدين في مصر العسكرية والاقتصادية والسياسية ، ومحاولاته للتوسع نحو المغرب واليمن وبلاد النوبة لتأسيس دولة خاصة بأسرته ، وكذلك يتحدث عنعلاقات صلاح الدين مع الخلافة العباسية والعائلة الزنكية وعلاقته بالصليبين ، وانتصاره في حطين وتصديه البارع للحملة الصليبية الثالثة .

اماالفصل الثاني : فقد تضمن مبحثين أهتم الأول بدراسة أوضاع الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين وكيفية توزيع الدولة بين أبنائه وإخوانه والمؤامرات التي ظهرت بعد صلاح الدين ، ومنها مؤامرة صاحب خلاط وتمرد أسرة زنكي على صلاح الدين ، والمبحث الثاني اختص بالصراعات في عهد صلاح الدين ، منها صراع الأتراك والأكراد حول الوزارة والمنافسة المحتدمة بين صلاح الدين وأخيه تورانشاه ، وتوضيح محاولة ناصر الدين شيركوه من استعادة الحق المسلوب ، وإبراز تمرد تقي الدين عمر في وجه صلاح الدين ، وكذلك دراسة تطلعات طغتكين نحو السلطنة .
بينما الفصل الثالث : فقد تضمن مبحثين ، تناول الأول حقيقة الصراع بين العادل والملك الظاهر غازي حول السلطنة ، وبين مدى براعة الملك العادل وعمله الدؤوب لأجل تأمين السلطنة لأبنائه من بعده ، وأبرزت مؤامرة الأفضل الأخيرة ضد العادل ، بينما درس المبحث الثاني أثر هذه الصراعات على الحروب الصليبية من خلال توضيح تأثيرها على الطرفين (الأيوبي والصليبي) ، وكذلك اثر صراع السلطة على الدولة الأيوبية في المدى القصير والتي انتهت خسارة عكا لصالح الصليبيين ، أما اثر هذا الصراع على الدولة في المدى الطويل فقد أفرزت بتسليم القدس الى الصليبيين بدون مقاومة ، وأيضاً أدت الى سقوط الدولة الايوبية في نهاية المطاف .

عرض المصادر :

وقد أفادت الدراسة من مصادر ومراجع كثيرة ، سنكتفي بذكر أهم هذه المصادر والمراجع وتحليلها :

1 . كتب التأريخ :

من أهم الكتب المعتمدة في الرسالة كتاب " الكامل في التأريخ " لابن الأثير (ت630هـ/1223م) ، والذي يُعد المصدر الرئيس والأكثر شمولية بالنسبة للتأريخ الإسلامي في هذه المدة ويسرد الأحداث بشكل دقيق ومرتب حسب السنين وبقدم معلومات قيمة عن تأريخ الدولة الاتابكية وكيفية ظهور صلاح الدين الأيوبي على مسرح الأحداث ويعطي تفاصيل مهمة عن خلافاته مع نور الدين محمود وكانت الإفادة منه في جميع فصول الدراسة ، وكتاب " مرآة الزمان في تأريخ الأعيان " لمؤلفه سبط ابن الجوزي (ت654هـ/1256م) ويعد من الكتب المهمة من خلال عرضه لأحداث الأخيرة للدولة الايوبية ويعتمد على ترتيب السنين وكانت الإفادة منه في بعض فصول هذه الدراسة ، أما كتاب " زبدة الحلب في تأريخ حلب " لابن العديم (ت660هـ/1261م) فقد أوجز الاحداث بشكل مختصر لكنه يعتمد على ترتيب حكم الملوك لمدينة حلب وقد أفاد الدراسة في بعض فصوله وذلك لأهمية الأحداث التأريخية فيها ، ويُعد كتاب " الروضتين في تأريخ الدولتين " لأبي شامة (ت665هـ/1266م) من الكتب المختصة بتأريخ الدولتين الزنكية والأيوبية ويتحدث عن الدولتين بشكل مفصل ، وكذلك كتاب " عيون الروضتين في أخبار الدولتين " للمؤلف نفسه الذي يقدم معلومات تأريخية لا تقل اهمية لما جاء في كتابه الأول ، كما أن كتاب " تأريخ مختصر الدول " لابن العبري (ت685هـ/1286م) أمدنا بمعلومات قيمة عن الحروب الصليبية ، ومن الكتب المهمة " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " لابن واصل (ت697هـ/1297م) الذي أمدنا بمعلومات مهمة عن ظهور صلاح الدين وأسرته واختص بتأريخ العائلة الايوبية بشكل خاص ويقدم معلومات مهمة عن تأريخ ظهور هذه الأسرة على مسرح الأحداث ودور أبنائها في مواجهة الغزو الصليبي ويعتمد على السنين في عرض الأحداث مع ذكر أسماء أفراد هذه الأسرة كما أفادني في جميع فصول هذه الدراسة ، ويضاف إلى هذه المصادر مصادر أخرى لا يمكن الاستغناء عنها ، ومنها " المختصر في أخبار البشر " لأبي الفداء (ت732هـ/1331م) فقد سرد الأحداث حسب السنين لكن بإيجاز ويتحدث

عن تأريخ الأسرة الايوبية حتى سقوط دولتهم وقد افادة الدراسة في أكثر فصولها ، وكتاب " تتمة المختصر المعروف بتأريخ ابن الوردي " لابن الوردي (ت749هـ/1348) فهو يسرد الأحداث حسب السنين لكن أكثر اختصاراً وهذا لا يقلل من المعلومات التأريخية الموجودة في هذه الكتاب وقد أفادني في بعض فصول الدراسة ، وكتاب " البداية والنهاية " لابن كثير (ت774هـ/1372م) وهو كتاب ينقل الأحداث حسب السنين بشكل دقيق ويدعم ذلك بالوفيات في تلك السنة مع ذكر أنسابهم ، وهذا ما جعل كتابه شاملاً وقد أفادني في جميع فصول الدراسة تقريباً ، وهذه المصادر أفادت الدراسة بشكل كبير ، ومن المصادر الأخرى التي ينبغي الإشارة إليها وهي مكملة للمصادر التي سبقتها وأعطت الدراسة تسلسلاً تأريخياً مثل كتاب " العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تأريخ العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الآكبر " لابن خلدون (ت808هـ/1405م) ، وكذلك مؤلفات المقريزي (ت845هـ/1441م) التي أعتمدت عليها كثيراً ، ومنها " السلوك لمعرفة دول الملوك " و " اتعاظ الحنفاء بأخبار ألائمة الفاطميين الخلفاء " وهذه الكتب من المصادر الرئيسية الخاصة بتأريخ الدولة الأيوبية ، بينما أختص كتاب " اتعاظ الحنفاء " بتأريخ الدولة الفاطمية والتي انتهت على يد صلاح الدين الأيوبي سنة (567هـ) ، ويسرد الأحداث التي شهدتها مصر آنذاك بشكل دقيق السياسية منها والاقتصادية وقد أفادة الدراسة في بعض فصول الدراسة ، أما كتاب " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " لابن تغري بردي (ت874هـ/1469م) فقد تناول تأريخ مصر منذ الفتح العربي الإسلامي من ضمنها تأريخ الدولة الايوبية ويسرد الأحداث بشكل سنوات حكم السلطان ويقدم معلومات مهمة عن تأريخ الأسرة الايوبية وقد أفادة الدراسة في معظم فصولها ، وكذلك كتاب " شفاء القلوب في مناقب بني أيوب " للحنبلي (ت876هـ/1471م) ويتناول جميع أفراد الأسرة الأيوبية ومن أبرزهم صلاح الدين الأيوبي ويعرض تفاصيل كثيرة عن أبناء وأحفاد هذه الأسرة من بداية ظهورهم على الساحة السياسية حتى سقوط الدولة الايوبية بيد المماليك .

2 . كتب التراجم :

ومن المؤلفات الأخرى والتي اعتمدت عليها هذه الدراسة كان لكتب التراجم أهمية كبيرة في موضوع بحثنا فهي تأتي في مقدمة الكتب التي اعتمدتها الدراسة وهذه الكتب

أغنت الدراسة بمعلومات مهمة مثل كتاب " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " لابن خلكان (ت681هـ/1282م) يتحدث عن الشخصيات المهمة في تأريخ الإسلام بصورة عامة مع ذكر الأحداث التأريخية بشكلٍ دقيق هذا مما أعطى لكتابه أهمية كبيرة ، وكذلك كتاب " سير أعلام النبلاء " للذهبي (ت748هـ/1347م) يتحدث عن شخصيات إسلامية حسب سنة الوفاة ويذكر معها الأحداث التأريخية في تلك الفترة ، وأيضاً كتاب " الوافي بالوفيات " للصفدي (ت764هـ/1362م) ، وكتابي " تأريخ الخلفاء للسيوطي (ت911هـ/1505م) الذي يقدم معلومات مهمة وموثوقة ، وكذلك كتاب " نزهة الأمم في العجائب والحكم " لابن إياس (ت930هـ/1523م) ، وكذلك كتاب " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " لعماد الدين الحنبلي (ت1089هـ/1678م) .

3 . كتب السير :

ويأتي في مقدمة جميع الكتب كتاب " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين " لابن شداد (ت632هـ/1234م) وهو يروي أحداث عاشها مع صلاح الدين بصورة دقيقة .

4 . الكتب الجغرافية والرحلات :

للكتب الجغرافية أهمية خاصة لِمَا زودت به هذه الدراسة بمادة غزيرة فقد زودتنا بمعلومات قيمة عن أحداث تأريخية عاصرها مؤلفوها من خلال رحلاتهم لتلك البلدان او الأقاليم ويسرد الأحداث الاقتصادية لتلك المناطق ويتحدث عن حالات الإعمار مع ذكر أسماء الحكام والولاة وطبيعة الأوضاع السياسية آنذاك بشكل مختصر لأنهم اهتموا بالجانب الجغرافي لتلك الأقاليم ، ومن أهم الكتب في هذا المجال كتاب " صورة الأرض " لابن حوقل (ت367هـ/977م) ، وكتاب " معجم البلدان " لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) وهذا الكتاب يتضمن معلومات عن المشاهدة والاطلاع الشخصي على الأماكن والبلدان ، ما كتاب " مراصد الاطلاع " لابن عبد الحق (ت739هـ/1338م) فقد أعتمد على ياقوت الحموي في كتابه ، ولا ننسى كتاب " تقويم البلدان " لأبي الفداء (ت732هـ/1331م) ، وكتاب " تذكرة بالأخبار على اتفاقات الأسفار " لابن جبير الأندلسي (ت614هـ/1217م) ، وكذلك كتاب " تحفة النظار في

غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " لابن بطوطة (ت779هـ/1377م) وخلصت الدراسة من هذه الكتب معلومات كثيرة .

ثانياً . المراجع الحديثة :

لا يمكن الاستغناء عن المراجع الحديثة وذلك لإنجاح الدراسة بشكلٍ أكثر لأنها تمدها بـأراء وتفسـيرات واسـتكناهات واسـتدلالات الكتـاب المحـدثين، ومـن هـذه المراجـع التـي اختصت بتأريخ الحروب الصليبية كتاب " مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك " لسعيد عبد الفتاح عاشور ، وكتاب " صلاح الدين والصليبون " للدكتورة أسمت غنيم ، وكتاب " صلاح الدين والصليبيون ، تأريخ الدولة الأيوبية " لأحمد الشامي ، أما المراجع المُعربة فهي ضرورية للدراسة من أجل الاطلاع على الوقائع والأحداث ومن هذه المراجع كتـاب " تـأريخ الحـروب الصـليبية " لسـتيفن رنسـيمان ، وكتـاب " الحـروب الصـليبية " لأرنست باركر .

ثالثاً . الرسائل والاطاريح الجامعية :

فهذه المراجع توضح أحداث تلك الفترة من خلال وجهة نظر المؤلفين وآرائهم في الوقت الحاضر ، وهذا ما يجعلها خاضعة لأمورٍ يصعب على أكثر المؤرخين الابتعاد عنها وهي التعصب القومي ، وهذا ما جعل هذه الكتب ضرورية للاطلاع عليها لكن لا يمكن ان نرجح آراء هؤلاء الباحثين بشكلٍ مطلق على المصادر الأولية ، إذ تم الرجوع الى البحوث ذات صلة بموضوع الدراسة وهي رسالة الماجستير التي بعنوان " موقف بيزنطة من الغزو الصليبي (489-601هـ/1095-1204م) " للباحثة ثورة خطاب علي .

ومن الله التوفيق

الباحث

الفصل الأول

الأسرة الأيوبية وبدايات تأسيس الدولة

المبحث الأول : ظهور الأسرة الأيوبية على مسرح الأحداث السياسية

أولاً . الأسرة الأيوبية

1 . النسب

2 . دور نجم الدين أيوب في تثبيت جذور الأسرة

3 . صلاح الدين الأيوبي

ثانياً . علاقة عماد الدين زنكي مع نجم الدين أيوب

1 . السمات الخاصة للأسرة الأيوبية

2 . المراحل التاريخية للأسرة الأيوبية

المبحث الثاني : صلاح الدين الأيوبي والخطوات الضرورية لتثبيت حكمه على مصر

أولاً . إصلاحات صلاح الدين

1- الإصلاح في الجانب العسكري

2- الإصلاح في الجانب الاقتصادي

3- الإصلاح في الجانب السياسي

ثانياً . إجراءات صلاح الدين السياسية والعسكرية

1- سياسته تجاه المغرب الأدنى

2- سياسته تجاه اليمن

3- سياسته تجاه بلاد النوبة

ثالثاً. علاقة صلاح الدين بالخلافة العباسية

رابعاً . علاقة صلاح الدين بـ(آل زنكي)

خامساً . علاقة صلاح الدين بالصليبيين

الفصل الثاني

الدولة الأيوبية وبداية الانهيار المبكر

المبحث الأول : الدولة الأيوبية والتفكك الكبير

أولاً . وفاة صلاح الدين

ثانياً . تقسيم الدولة

ثالثاً . التحديات التي واجهت الدولة الأيوبية

المبحث الثاني : الدولة الأيوبية ومعركة الصراع على البقاء

أولاً . صراع السلطة في عهد صلاح الدين (564-589هـ/1169-1193م)

ثانياً . صراع السلطة بعد وفاة صلاح الدين

الفصل الثالث

صراع السلطة بين الأيوبيين بداية النهاية لحكمهم

المبحث الأول : صـــراع الملك العادل مـــع أبناء صـــلاح الديـــن مـــن أجـــل تأسيس الزعامـــة

أولاً . الملك العادل وحسم الصراع مع الملك الظاهر غازي

ثانياً . مؤامرة الأفضل الأخيرة

المبحث الثاني : صراع السلطة والتأثيرات الخطيرة على سياسة الدولة الأيوبية الجهادية

أولاً . تأثيرها على الجانب الصليبي

ثانياً . أثره على الدولة الأيوبية

ثالثاً . صراع السلطة في الدولة الأيوبية على المدى القصير وخسارة عكا (587هـ/1191م)

رابعاً . أثر صراع السلطة في البيت الأيوبي على المدى الطويل

ثبـــــــت

المصادر والمراجـــع

المقـــــدمـــــة

الخاتمـــــة

الملاحـــــق

الفصل الأول

الأسرة الأيوبية

المبحث الأول

ظهور الأسرة الأيوبية على مسرح الأحداث السياسية

أولاً . الأسرة الأيوبية :

1 . النسب :

ينتسب الأيوبييون إلى أيوب بن شادي[1] ، وهنا ينتهي نسبها المعروف ،عند ابن خلكان إذ يقول: " ولقد تتبعت نسبهم كثيراً فلم أجد أحداً ذكر بعد شادي أباً أخر ، حتى إني وقفت على كتب كثيرة بأوقاف وأملاك باسم أيوب وشيركوه ، فلم أرَ فيها سوى أيوب ابن شادي وشيركوه بن شادي لا غير "[2] ، ثم يضيف أن بعض كُبراء آل أيوب قالوا له : " هو شادي بن مروان "[3] ، بينما ذكر الصفدي أنه : " شادي بن مروان بن يعقوب الدويني "[4] .

---

(1) ينظر : ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/1233م) ، الكامل في التأريخ ، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1987م) ، ج9 ، ص221 ؛ ابن شداد ، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت632هـ/1235م) ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، ط1 ، مكتبة الخانجي (القاهرة – 1994م) ، ص31 .

(2) ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1281م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت – 1968م) ، ج7 ، ص140 ؛ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت774هـ/1372) ، البداية والنهاية ، تحقيق : محمد بن سامح عمر ، ط1 ، دار ابن الجوزي ، (القاهرة – 2009م) ، ج12 ، ص307 .

(3) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص255 ؛ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1297م) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية ، (القاهرة – 1957م) ، ج1 ، ص30 .

(4) ابن ايبك الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك عبدالله (ت764هـ/1362) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، مكتبة التراث العربي ، (بيروت – 2000م) ، ج10 ، ص30 .

وزاد بعضهم إلى ابن مروان[1] ، أما عند ابن خلدون أنه : " أيوب بن شادي بن مروان بن علي بن الحسن بن علي بن احمد بن علي بن عبد العزيز بن هدية بن الحصين بن الحرث بن سنان بن عمر بن مرة بن عوف الحميري الدوسي "[2] . وعلى كل الأحوال فقد انتقلت أسرة شادي من بلدة دوين[3] ، وهي بلدة في أذربيجان إلى العراق واستقرت في تكريت[4] الواقعة على الضفة اليمنى لنهر دجلة شمالي سامراء في بداية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، وجميع أهالي تلك البلدة من الأكراد الروادية[5] ، وهم من أشراف الأكراد " لأنهم لم يجرِ على أحد منهم الرق أبداً "[6] ، غير أن بعض الأيوبيين حاول أن يبتعد عن الأصل الكردي[7] ، والالتصاق بالدم العربي

---

(1) ينظر : الحنبلي ، احمد بن إبراهيم (ت876هـ/1471م) ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق : ناظم رشيد ، مطبعة وزارة الثقافة والفنون ، (بغداد – 1978م) ، ص30 .

(2) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت808هـ/1405م) ،العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تأريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : خليل شحاذة ، دار الفكر ، (بيروت – 2000م) ، ج5 ، ص326 .

(3) دوين : بلدة في أخر عمل أذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج بالقرب من تفليس ، ينظر : ياقوت ، أبو عبد الله بن عبد الله الحموي البغدادي (ت626هـ/1228م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت – 1960م) ، ج2 ، ص491 .

(4) تكريت : بفتح التاء والعامة يكسرونها ، بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهي إلى بغداد أقرب ، وبينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً ، ينظر : ابن الفقيه ، أبو بكر احمد بن محمد الهمداني (ت أواخر ق3هـ) ، مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1302هـ) ، ص139 ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص38 .

(5) الروادية : بطن من الهذبانية ، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد ، ينظر : ابن العبري ، غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون بن توما الملطي (ت685هـ/1285م) ، تأريخ مختصر الدول ، تحقيق : انطوان صالحاني اليسوعي ، ط2 ، مطبعة دار الرائد ، (بيروت – 1994م) ، ص370 ، المغلوث ، سامي ابن عبد الله بن احمد ، أطلس الحملات الصليبية ، ط1 ، دار العبيكان ، (الرياض – 2009م) ، ص98 .

(6) ابن الاثير ، التأريخ الباهر في الدول الاتابكية في الموصل ، تحقيق : عبد القادر طليمات ، (القاهرة – 1963م) ، ص111 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص297 .

(7) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، 69 ؛ الحريري ، محمود محمد ، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين ، ط1 ، دار المعارف ، (القاهرة – 1992م) ، ص95 .

بعامة وبنسل بني أمية خاصة وأنكروا نسبهم إلى الأكراد ، إذ أدعى المعز بن طغتكين[1] ملك اليمن (593-598هـ/1197-1202م) أنه من بني أمية ، وأتخذ لنفسه لقب الخليفة لإضفاء الشرعية على حكمه[2] لانه يدرك ان الخلافة لايتولها الا من كان عربياً قريشياً ، "لكن تأكيد صلاح الدين وأخيه العادل على انتمائهم الكردي"[3] ، يقطع بأن هذه الأسرة من الأكراد ومن البلدة التي أشرنا إليها وهي بلدة دوين[4] .

ومهما يكن من أمر فإن العصر الذي عاشت فيه هذه الأسرة بغض النظر عن انتمائها ونسبها كان عصر جهاد ومقاومة إسلامية ضد الاحتلال الصليبي[5] ، ولم يكن الجنس والعرق هو معيارتمايز الذي يميز أحداً على آخر بقدر ما كان الأساس الذي يعتمده المجتمع آنذاك وهو الذود عن بيضة الإسلام وحمايته وسلوك طريق الجهاد ، وهذا ما اعتمدته هذه الأسرة العريقة وأبلت فيه بلاءً حسناً[6] .

---

(1) طغتكين : أبو الفوارس سيف الإسلام بن أيوب بن شادي الملقب بالملك العزيز ملك اليمن ، توفى عام (593هـ) ، وقام في الملك من بعده ولده المعز إسماعيل ، وكان أهوج قليل التدبير ، فقتل وتولى بعده مملوك من مماليك أبيه ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2 ، ص524 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج16 ، ص258 .

(2) ينظر : أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/1268م) ، عيون الروضتين في أخبار الدولتين التورية والصلاحية ، تحقيق : إبراهيم الزيبق ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت -1997م) ، ج2 ، ص250 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص308 .

(3) ينظر : ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت1089هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري ، (بيروت – بلات) ، ج6 ، ص488 , ملح رقم(3)

(4) ينظر : ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/1469م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1992م) ، ج6 ، ص4 ؛ الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط15 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 2002م) ، ج2 ، ص38 .

(5) ينظر : ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت852هـ/1448م) ، إنباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق : حسين حبش ، (القاهرة – 1969م) ، ص14 ؛ العبادي ، احمد مختار ، دراسات في تأريخ الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية ، (بيروت – 1995م) ، ص35 .

(1) ينظر : أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص296 ؛ عوض ، محمد مؤنس احمد ، الحروب الصليبية دراسات تأريخية ونقدية ، ط1 ، دار الشروق ، (عمان – 1999م) ، ص161 .

أمتاز شادي بالطموح الواسع وقراءة جيدة لاستغلال الفرص التي تتاح له ، فعندما اتيحت له فرصة التمكين وتبوؤء المقعد المناسب لم يتردد بقبولها ولذلك أستجاب سريعاً لطلب صديقه مجاهد الدين بهروز (502-540هـ/1108-1145م)[1] والذي بعث إليه لكي يشاركه في خيره ، وكان بين شادي وبهروز صداقة قديمة[2] ، وكان في قرارة نفسه في صراع مستمر بين البقاء في تلك البلدة المنسية أو الرحيل إلى إحدى المدن الإسلامية الكبيرة ، ففضل الخيار الثاني لأنَّها ميدان الحكم والسياسة ، وفيها يمكن أن يحقق أحلامه ، وهذا ما دفع بشادي إلى مغادرة بلدته التي كانت لا تلبي طموحاته وقدراته الواسعة فرحل عنها[3] .

ويبدو أنَّ هذا الاختيار لشادي كان موفقاً ، ولم يكن ارتجالياً أو وليد اللحظة ، فربما كانت لديه علاقات مع السلاجقة الأتراك[4] ، الذين كانوا يسيطرون على أجزاء واسعة من العالم الإسلامي ، فقد استطاع شادي أن يكسب ثقة بهروز الخادم 540 (502-540هـ/1108-1145م)[5] ، أحد أمراء السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي (498-511هـ/1104-1117م)[6] ، وكانت تكريت آنذاك إقطاعاً لهذا الأمير السلجوقي ، وكان

---

(2) بهروز : مجاهد الدين بن عبد الله الغياثي ، كان يشغل منصب شحنة بغداد ، وكانت تكريت اقطاعاً له ، توفي بهروز سنة (540هـ) ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج7 ، ص141 .

(3) ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص255 ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م) ، تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت – 2003م) ، ج12 ، ص389 .

(4) ينظر : ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص326 ؛ البدليسي ، شرف خان ، شرفنامة في تأريخ الدول والإمارات الكردية ، ترجمة : محمد علي عوني ، ط4 ، دار الزمان ، (دمشق – 2006م) ، ج1 ، ص97 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج2 ، ص38 .

(5) السلاجقة : عشيرة من عشائر الغز التركية ، تنسب إلى مقدمها سلجوق بن تقاق ، وكانت تقيم في بلاد تركستان ، واضطر سلجوق إلى اللجوء إلى بلاد الإسلام خوفاً من ملك الترك بيغوا ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج8 ، ص236 .

(1) ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص221 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص7 .

(2) ينظر : ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/1148م) ، الأنباء في تأريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السيد احمد السامرائي ، دار الآفاق العربية ، (القاهرة – 1999م) ، ص211 .

لهذا التقرب لشادي أثره في الإرتقاء في المناصب الإدارية حتى تولى وظيفة الشحنة[1] في قلعة تكريت ، ولما توفي شادي خلفه إبنه نجم الدين أيوب في المنصب[2] ، الذي اكتسب خبرة إدارية جيدة من والده ، ويبدو أن العلاقة بين الأسرة الأيوبية وبين بهروز الخادم ، قد انتقلت إلى مرحلة جديدة من التطور نحو الأفضل ، مما أنعكس إيجاباً على حياة هذه الأسرة[3] ، ولكن هذا لم يدم طويلاً إذ سرعان ما تكدرت هذه العلاقة بشكل واضح ، وذلك بسبب الحرب التي نشبت بين أتابك[4] الموصل عماد الدين زنكي (516-541هـ/1122-1146م)[5] ، الذي تحالف مع السلطان السلجوقي مسعود بن محمد بن ملكشاه (527-547هـ/1132-1152م)[6] ، الذي كان في صراع مستمر على السلطة مع الخليفة العباسي المسترشد بالله (512-529هـ/1118-1135م)[7] ، وانتصر جيش الخليفة العباسي في المعركة الحاسمة التي دارت بالقرب من بغداد سنة (536هـ/1131م)[8] ، فعاد عماد الدين منهزماً إلى الموصل ، وقد مرَّ بمدينة تكريت

---

(3) الشحنة : منصب إداري يعني حاكم المدينة ، أو من يتولى أمر الشرطة فيها ، ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص308 ؛ دوزي ، رينهارت ، تكملة المعاجم العربية ، ترجمة : محمد سليم النعيمي ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد – 1982م) ، ج6 ، ص170 .

(4) ينظر : ابن شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص263 ؛ البدليسي ، شرفنامة ، ج1 ، ص96 .

(5) ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص308 ؛ملح رقم (2).

(6) أتابك : كلمة تركية تعني مربي الأمير ، وهي مركبة (أتا) تعني الأب ، و(بك) تعني الأمير ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج2 ، ص328 ؛ دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ج1 ، ص280 .

(7) ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9،ص221 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص8.

(8) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص246 ؛ عبد المنعم ، صبحي ، تأريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح العربي حتى عهد الأيوبيين (21-648هـ) ، الدار العربي ، (القاهرة – 1995م) ، ص136 .

(1) المسترشد بالله : أبو المنصور الفضل بن احمد المستظهر بالله بن المقتدى عبد الله بن محمد الهاشمي العباسي ، قتل بتدبير من السلطان سنجر السلجوقي ودفن في مراغة ، ينظر : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م) ، تأريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد احمد عيسى ، ط1 ، دار الغد الجديد ، (القاهرة – 2007م) ، ص391 .

(2) ينظر : ابن العبري ، تأريخ مختصر الدول ، ص39 ؛ أبو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1331م) ، المختصر في تأريخ البشر ، تحقيق : محمد زينهم عزب دار المعارف ، (القاهرة – 1999م) ، ج3 ، ص10 .

وكان في حالة سيئة ، وأصبح مصير زنكي وجيشه في يد نجم الدين أيوب الذي بادر إلى تقديم المساعدة له ولأفراد جيشه[1] ، وقدم له كافة الوسائل الممكنة لعبور نهر دجلة ، وكان ذلك مدعاة لإنقاذ جيشه من مأزق خطير[2] ، وعاملاً على كسب صداقة زنكي ، ولكن ذلك على حساب العلاقة بين نجم الدين والأمير بهروز ، إذ اهتزت الثقة بين الطرفين وتفاقم أكثر بعد قيام أسد الدين شيركوه بقتل أحد أمراء بهروز الخادم[3] ، وتبين أن بهروز قد شعر بأن هناك صراعاً خفياً بدأ يزداد بمرور الوقت بسبب ازدياد شعبية نجم الدين في المدينة ، وربما أدرك أن هذا الصراع سوف يحسم لصالح نجم الدين ، فقرر وضع حد لهذه المسألة قبل تفاقمها ، فأمر نجم الدين بترك تكريت[4] .

2 . دور نجم الدين أيوب في تثبيت جذور الأسرة :

على رغم ما تمتع به نجم الدين من مؤهلات شخصية وأعمال كبيرة تخص الأسرة الأيوبية[5] ، إلا أن الأضواء لم تسلط عليه بقدر ما سلطت على صلاح الدين ، فقد كان لنجم الدين اثر كبير في تثبيت جذور هذه الأسرة التي تعرضت إلى الخطر والفشل مرَّات عديدة[6] ، ان عماد الدين زنكي كان قد مني بهزيمة أمام خليفة بغداد ورجع إلى الموصل[7] ، وهو يجر أذيال هزيمته ماراً بتكريت ، إذ كان لنجم الدين دور كبير في تقديم المساعدة له[8] ، وفي هذه الصورة نعرف ان نجم الدين كان يدرك تماماً ما تؤول

---

(3) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج8 ، ص688 ؛ أبو الفداء ، المختصر في تأريخ البشر ، ج3 ، ص11 .

(4) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص221 ؛ أبو الفداء ، المختصر في تأريخ البشر ، ج3 ، ص11.

(5) ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص263 .

(6) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص8 ؛ البدليسي ، شرفنامة ، ج1 ، ص97 .

(7) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص31 ؛ الذهبي ، تأريخ الاسلام ، ج12 ، ص390 .

(1) ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص263 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص302 .

(2) الموصل : مدينة على غربي دجلة صحيحة التربة ، ينظر : ابن حوقل ، أبو القاسم النيصيبي (ت367هـ/977م) ، صورة الأرض ، دار صادر ، (بيروت – 1928م) ، ج1 ، ص214 .

(3) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج3 ، ص61 ؛ ابن خلدون ، تأريخ ، ج5 ، ص267 ؛ بيومي ، علي ، قيام الدولة الأيوبية في مصر ، ط1 ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – 1952م) ، ص63 .

إليه الأمور في هذه المدة المضطربة[1] ، لاسيما وأن عماد الدين زنكي كان من الممكن أن يكون له نفوذ واسع وسلطة في المناطق البعيدة عن بغداد في الأطراف التي كانت في صراع مستمر مع الصليبيين من أجل توسيع دولته ، لهذا فهو بحاجة إلى شخصية مثل شخصية نجم الدين الذي سوف يكون له دور مستقبلي فيها وهذا ما أثبتته الأحداث اللاحقة[2] .

ويمكن القول أن الصورة الثانية تدلُ على حنكةِ وسياسةِ وذكاءِ متوقد وقدرة على كسب الغير خدمةً لأسرته بعد أن تعرضت إلى موقف لا تحسد عليه عندما قام أخوه شيركوه بقتل أحد الأمراء التابعين إلى بهروز الخادم[3] ، فقام نجم الدين بسجن أخيه وكتب إلى بهروز بذلك يستعطفه ويحاول أن يخفف من غضبه وأعلمه أنه ينتظر أوامره[4] ، وكان رد فعل بهروز أن طلب منه مغادرة القلعة لأنه بهذا نجح في كسب الصراع حول المدينة لصالحه ، لهذا لم يتخذ إجراءً قوياً تجاه شيركوه فاضطر نجم الدين إلى مغادرة تكريت[5] ، وعلى الرغم من خسارة النفوذ الذي كان عليه مع أخيه في تكريت

---

(4) مغلطاي ، علاء الدين بن قلنج بن عبد الله البكجري الحنفي (ت762هـ/1360م) ، مختصر تأريخ الخلفاء ، تحقيق : آسيا كليبان علي البارح ، ط1 ، دار الفجر ، (القاهرة – 2001م) ، ص158.

(5) ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص265 ؛ الذهبي ، تأريخ الإسلام ، ج12 ، ص390 ؛ العيني ، بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد بن موسى بن احمد بن الحسين بن يوسف بن محمود (ت855هـ/1451م) ، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، تحقيق : فهيم محمد علوي شلتوت ، ط2 ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة – 1998م) ، ص189 .

(6) ابن العبري ، تأريخ مختصر الدول ، ص370 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص8 ؛ بيومي ، قيام الدولة ، ص65 .

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص308 ؛ قلعجي ، قدوري ، صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ، ط1 ، شركة المطبوعات ، (بيروت – 1992م) ، ص13 .

(2) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، ط2 ، لجنة التأليف والترجمة ، (القاهرة – 1956م) ، ج1 ، ص41 ؛ البدليسي ، شرفنامة ، ج1 ، ص97 .

، إلاَّ أن مصلحة أسرته وإنقاذ أخيه من القتل كان كافياً لتجاوز هذه المحنة التي تعرضت لها الأسرة الأيوبية[1] .

ومما يدل على ما يتمتع به نجم الدين من عقل مستنير وتقدير للموقف خدمة لأسرته هو إنكاره لما قام به أخوه شيركوه من سوء التصرف ، لأن شيركوه ونجم الدين كانا يحاولان دائماً الوصول إلى السلطة ، لهذا حاول شيركوه كسب الصراع لصالح أسرته ، قناعة منه بعدم وجود وريث قوي من آل زنكي يستطيع تحمل أعباء الدولة بعد نور الدين ، فسارع إلى دمشق للتغلب عليها لأنها قلب الدولة النورية[2] ، بعد سماعه بموت نور الدين محمود دون أن يتحقق من ذلك بالقول : " أهلكتنا والمصلحة تقتضي أن تعود إلى حلب "[3] ، وكان هذا التصرف مدعاة لثقة نور الدين بنجم الدين عندما تماثل إلى الشفاء ، فضلاً عن تجنب الأسرة الأيوبية مما لا يحمد عقباه نتيجة لما قام به شيركوه من حماقة التصرف[4] .

ومن مساهمات نجم الدين الأخرى خدمة للأسرة الأيوبية ما قطعه من رأي سديد تجاه صلاح الدين الذي كان جاداً في التهيؤ لمحاربة نور الدين الذي أدرك أن كسب الصراع في مصر ، قد ذهب لصالح صلاح الدين وأنه يمهد الطريق لقيام دولة لأسرته[5] ، فحاول نور الدين بهذه الطريقة القضاء على أحلام الأيوبيين في مهدها ، فقرر السير إلى مصر وأخذها منه ، لكن نجم الدين منعه من ذلك وحاول أن يخفف من الموقف ويعلم

---

(3) ابن الأثير ، التأريخ الباهر ، ص119 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص31 .

(4) ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص47 ؛ الصوري ، وليم ، الحروب الصليبية ، ترجمة : حسن حبشي ، مؤسسة الأهرام ، (القاهرة – 1998م) ، ج3 ، ص422 .

(5) ابن القلانسي ، حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو يعلي التميمي الدمشقي الكاتب(ت555هـ/1160م) ، تأريخ ابن القلانسي (ذيل تأريخ دمشق) ، مكتبة المتنبي ، (القاهرة – 1999م) ، ص349 .

(6) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص436 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص313 .

(1) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج6 ، ص246 ؛ ابن العديم ، كمال الدين أبي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت660هـ/1261م) ، زبدة الحلب في تأريخ حلب ، تحقيق : سامي الدهان ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة – 1997م) ، ج2 ، ص699 .

صلاح الدين أمام الجميع بأن البلاد لنور الدين[1] ، وما عليه إلا أن يكتب إليه ما يريد ، وأنه ليس بحاجة إلى إرسال الجيوش بل يرسل نجاب المولى " يضع في رقبتي منديلاً ويأخذني إليك "[2] ، وهذا بطبيعة الحال يدل على حنكة سياسية ودراية بالأمور لتخفيف الموقف لتلافي ما لا يحمدُ عقباهُ تحقيقاً للمصلحة العامة ، فضلاً عن مصلحة الأسرة الأيوبية[3] .

3 . صلاح الدين الأيوبي :

أ . ولادته :

ولد صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي سنة (532هـ/1137م)[4] ، في قلعة تكريت وهي بلدة قديمة راكبة على نهر دجلة بُنِيت منذ القدم على حجر عظيم[5] ، وأصبحت مخزناً للذخيرة ، ومرصداً لمراقبة الأعداء ، ومن عجائب القدر أنَّ ولادة صلاح الدين كانت في اليوم الذي أمر فيه بهروز الخادم نجم الدين أيوب وأخاه شيركوه بمغادرة مدينة تكريت[6] ، وصبت هذه الحادثة في مصلحة أسرته أولاً وفي حياة صلاح الدين ثانياً ، لأنَّها فتحت الطريق للأسرة لكي تنتقل إلى مرحلةِ الإعداد لقيام دولة خاصة

---

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص305 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص49 .

(3) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص223 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص20 .

(4) ينظر : البدليسي ، شرفنامة ، ج1 ، ص98-99 ؛ حمادة ، محمد ماهر ، دراسة وثيقة للتأريخ الإسلامي ومصادره من عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لسورية ومصر (40-922هـ/667-1516م) ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1988م) ، ص353 .

(5) ينظر : ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص303 ؛ القرماني ، احمد بن يوسف (ت1019هـ/1610م) ، أخبار الدول وآثار الأول في التأريخ ، تحقيق : احمد حطيط وفهمي سعد ، ط1 ، عالم الكتب ، (بيروت – 1992م) ، ج3 ، ص256 .

(1) ينظر : لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، المجمع العلمي العراقي ، (بغداد – 1954م) ، ص81 .

(2) ينظر : ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص31 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص308 .

بها ، أما بالنسبة لصلاح الدين فإنها زادت من معرفته وصقلت مواهبه وعملت على زرع فكرة مقاومة الغزو الصليبي في قلبه[1] .

ب . نشأته :

عاش صلاح الدين في كنف والده الذي أهتم به كثيراً وتلقى صنوف المعرفة في دمشق عندما انتقلت عائلته إلى اليها[2] ، و انتقل بعد ذلك إلى بعلبك[3] في سنة (534هـ/1140م) عندما أصبح والده أميراً عليها من قبل عماد الدين زنكي[4] ، وهناك أمضى ردحاً من حياة الطفولة ، وفي هذه المدة ظهر صراع على مدينة بعلبك من قبل الأمير مجير الدين[5] بن طغتكين أمير دمشق ، وتجلت عبقرية نجم الدين الذي فضل السلم على الدخول في صراع خاسر حول بعلبك ، فقام بتسليم المدينة إلى أمير دمشق[6] ، وفي سنة (546هـ/1142م) ألتحق صلاح الدين بخدمة عمّهِ أسد الدين شيركوه ، ثم اتصل بنور الدين عن طريق عمه شيركوه إذ قربه ومنحه إقطاعاً[7] ، وأسند إليه منصب

---

(3) ينظر : أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص264 ؛ زيادة ، محمد مصطفى ، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة ، ط1 ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، (القاهرة – 2000م) ، ص8 .

(4) ينظر : ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج6 ، ص251 ؛ عبد المنعم ، حمدي محمد حسين ، دراسات في تأريخ الأيوبيين والمماليك ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية – 2000م) ، ص8 .

(5) بعلبك : مدينة لبنانية واقعة على جبلٍ ، وعامة أبنيتها من حجارة ، وبها قصور من حجارة قد بنيت على أساطين شاهقة ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص175 ؛ ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت739هـ/1338م) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، (بيروت – 1992م) ، ج1 ، ص208 .

(6) ينظر : ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص31 ؛ ابن العبري ، تأريخ مختصر الدول ، ص358 .

(1) هو مجير الدين آبق بن محمد بن بوري بن الاتابك ظهير الدين طغتكين ، توفي ببغداد سنة (564هـ) ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج7 ، ص143 .

(2) ينظر : أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص264 ؛ عبد المنعم ، دراسات في تأريخ الأيوبيين ، ص8 .

(3) ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص222 ؛ الأنصاري ، ناصر ، المجمل في تأريخ مصر السياسي والإداري ، ط1 ، دار الشروق ، (القاهرة – 1991م) ، ص142 .

رئاسة الشرطة في مدينة دمشق[1] ، إذ نجح في مهمته أحسن النجاح واستطاع أن يطهر دمشق من عبث اللصوص ومن شرور المفسدين ، ثم إنضم إلى جانب عَمّهِ شيركوه وشارك معه في ثلاث حملات على مصر[2] ، وأصبحا سبباً من أسباب كسب الصراع على مصر مع الصليبيين ، إذ نجحا في ضم مصر إلى الدولة النورية[3] .

ثانياً . علاقة عماد الدين زنكي بنجم الدين أيوب :

أدرك نجم الدين أيوب أن نفوذ عماد الدين زنكي في تطور مضطرد على حساب السلاجقة الأتراك الذين خارت قواهم بسبب صراعهم الدائم مع الخلافة العباسية[4] ، لهذا ربط نجم الدين أيوب طموح الأسرة بطموح زنكي ، وذلك عندما قدم له كافة التسهيلات الضرورية لعبور نهر دجلة من بغداد الى الموصل سالماً[5] ، وعندما هاجر نجم الدين إلى الموصل رحب به صاحب الموصل ، وأصبح هو وأخوه شيركوه من قادة عماد الدين زنكي[6] ، وشارك الأخوان مع زنكي حروبه ، لكن اغتيال عماد الدين في سنة (541هـ/1146م)[7] ، على يد أحد مماليكه عندما كان يحاصر قلعة جعبر[1] ، أحدثت

---

(4) ينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص349 ؛ الأهل ، عبد العزيز سيد ، أيام صلاح الدين ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، (القاهرة – 1964م) ، ص5 .

(5) ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص206 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص43 ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج3 ، ص183 .

(6) ينظر : ابن خلدون ، تأريخ ، ج5 ، ص329 ؛ بدوي ، عبد الرحمن ، مذاهب الإسلاميين ، ط3 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 2008م) ، ص1122 .

(7) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص249 ؛ النشرتي ، حمزة ، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي ، عبد الحميد مصطفى ، السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين وبطل موقعة حطين ، الهيئة المصرية العامة ، (القاهرة – 1994م) ، ص16 .

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص8 ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص61 .

(2) ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص264 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص41 .

(3) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م) ، المنتظم في تأريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1993م) ، ج18 ، ص48 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص31 .

فوضى في دولة عماد الدين وانقسمت دولته على قسمين الأولى في الموصل بزعامة أبنه سيف الدين غازي ، والثانية في حلب[2] بزعامة نور الدين محمود ، فأندلعَ الصراع على الزعامة داخل بيت (آل زنكي) بين الأثنين[3] ، وقد ساند كل من نجم الدين وأخوه شيركوه نور الدين محمود[4] ، وسارع الأخوان إلى موافقة نور الدين ودخول مدينة حلب بعد مقتل أبيه بأيامٍ في (7 ربيع الأول سنة 541هـ/16 أيلول 1146م)[5] ، وأدى هذا العمل إلى أن يصبح نجم الدين القائد الأعلى لجيش دمشق ، بينما بقي شيركوه في بلاط نور الدين وكان له دور كبير في إنقاذ دولة نور الدين من خطر الصليبيين ، لأنَّ الصراعَ معهم دخل مرحلة جديدة[6] ، إذ أنهم بادروا إلى مهاجمة حلب وحماه[7] واستطاع نور الدين أن يضم دمشق إلى نفوذهِ بمساعدة شيركوه في (محرم سنة 549هـ/نسيان1154م)[8] .

---

(4) جعبر : قلعة على الفرات بين بالس والرقة وصفين ، وكانت قديماً تسمى دوسر فملكها رجل من بني قثير أعمى يقال له جعبر بن مالك ، وكان يخيف السبيل وتقع في محافظة الرقة شرق ديمشق ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص142

(5) حلب : مدينة مشهورة بالشام واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء ، وهي قصبة جند قنسرين ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص417 .

(6) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج18 ، ص48 ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج2 ، ص649 .

(7) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص197 ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص27 ؛ بيومي ، قيام الدولة ، ص70 .

(8) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص264 ؛ المقريزي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين شيال ، ط1 ، مؤسسة الثقافة الدينية ، (القاهرة – 2000م) ، ص97 .

(1) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص61 ؛ ابن خلدون ، تأريخ ، ج5 ، ص185 ؛ قساطلي ، نعمان ، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، ط2 ، دار الرائد العربي ، (بيروت – 1982م) ، ص48 .

(2) حماه : مدينة جميلة عامرة على شاطئ نهر العاصي ، ينظر : خسرو ، ناصر الدين علوي (ت431هـ/1039م) ، سفر نامة ، ترجمة : يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية ، (القاهرة – 1993م) ، ص57 .

(3) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص222 ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج2 ، ص169 ؛ الصفدي ، تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، تحقيق : إحسان بن سعد خلوصي وزهير حميدان الصمام ، وزارة الثقافة السورية ، (دمشق – 1992م) ، ج2 ، ص74 .

ويبدو أن الأخوين اتفقا على أن يوحدا جهودهما لصالح أسرتهما ، وهذا ربما يحقق السلامة والأمان لأسرتهما بسبب كثرة الصراعات في هذه المرحلة التأريخية[1] ، وهكذا نجحت الأسرة الأيوبية في تثبيت جذورها ونفوذها من خلال دعم آل زنكي في حروبهم وإدارة دولتهم[2] ، وكانوا في أثناء ذلك يعملون لخدمة مصلحة أسرتهم ، ويمكن القول أن الأخوين عملا على تمهيد الطريق لقيام دولة باسم أسرتهما ونجحا في ذلك[3] .

ثالثاً . السمات الخاصة للأسرة الأيوبية :

تمتعت الأسرة الأيوبية بسمات خاصة ميزتها عن غيرها[4] ولا ندري هل أن هذه السمات ، التي ذكرت عنها جاءت عن طريق الصدفة وأصبحت لصيقة بها ، أشار إليها بعض الباحثين وذكروها أحياناً على سبيل الندرة ، وغرائب الأمور ، فقد ارتبطت هذه الأسرة بالرقم (3) ثلاثة[5] ، فعندما هاجر شادي وأبنه نجم الدين كان معهما زيد الدين شيركوه من بلدة دوين إلى العراق ، لم ترد أية إشارةٍ في المصادر التأريخية إلى غير هؤلاء الثلاثة[6] ، وعندما اضطر نجم الدين إلى ترك تكريت واللجوء إلى الموصل كان معه شيركوه ، وظهر إلى جانبهما صلاح الدين فكانوا ثلاثة[7] ، ويلحظُ أنَّ الدولة الأيوبية ظهر فيها ثلاثة حكام أقوياء وهم :

---

(4) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج6 ، ص267 .

(5) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، 42 .

(6) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص290 ؛ عبد المنعم ، دراسات في تأريخ الأيوبيين ، ص9 .

(1) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص31 ؛ أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص329 .

(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص256 ؛ الذهبي ، تأريخ الإسلام ، ج12 ، ص389 .

(3) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص221 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص7 .

(4) ابن خلدون ، تأريخ ، ج5 ، ص612 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، وزارة الثقافة ، (القاهرة – 1997م) ، ج2 ، ص305 .

1. صلاح الدين الأيوبي (569-589هـ/1174-1193م)[1] .
2. الملك العادل الأيوبي (593-615هـ/1221-1238م)[2] .
3. الملك الكامل بن العادل (615-635هـ/1221-1238م)[3] .

وظهر بعد وفاة كل واحد من هؤلاء الثلاثة صراعات ونزاعات بين أبنائهم ممّا أدى إلى تمزيق وحدة الدولة[4] ، ومن المعلوم أن الملك الصالح نجم الدين أيوب (637-647هـ/1240-1249م)[5] ، كان لديه ثلاثة أولاد[6] ، ومن غرائب الأمور أن الدولة الأيوبية أخذت سمعتها وقوتها وزادت من نفوذها عن طريق شخصية نجم الدين أيوب ، وأنها انهارت بموت شخصية نجم الدين أيوب أيضاً[7] .

رابعاً . المراحل التأريخية للأسرة الأيوبية :

مرت هذه الأسرة بثلاث مراحل هي على النحو الآتي:

أ - المرحلة الأولى (المحلية) :

---

(5) ينظر : القرماني ، أخبار الدول ، ج2 ، ص254 ؛ بهجت ، منى محمد بدر محمد ، أثر الحضارة السلجوقية في شرق العالم الإسلامي عل الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر ، مكتبة زهراء الشرق ، (القاهرة – 2002م) ، ج1 ، ص57 .

(6) ينظر : أبو شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف (بالذيل على الروضتين) ، تحقيق : محمد زاهد الحسن الكوثري ، ط2 ، دار الجيل ، (بيروت – 1974م) ، ص111 .

(7) ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص165 ؛ الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف ، معالم التأريخ الإسلامي ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – بلات) ، ص251 .

(8) ابن العميد ، المكين جرجيس بن أبي المكارم بن أبي الطبيب النطرني (ت672هـ/1273م) ، أخبار الأيوبيين ، مكتبة الثقافة الدينية ، (بورسعيد – بلات) ، ص10 .

(1) ابن الفوطي ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق البغدادي (ت723هـ/1323م) ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة المنسوب ، تحقيق : مصطفى جواد ، المكتبة الفرات ، (بغداد – 1351هـ) ، ص140 .

(2) هم : الخليل : توفي وهو طفل صغير ، والثاني : عمر مات مسجوناً في بلاد الشام ، والثالث : تورانشاه وهو أخر ملوك بني أيوب ، ينظر : الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص380 .

(3) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص339 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص337 .

ابتدأت هذه المرحلة في بلدة دوين في أذربيجان[1] ، وانتهت برحيل شادي عنها إلى العراق قبيل تولي بهروز الخادم الشحنة في بغداد سنة (502هـ/1108م)[2] ، ولا تسعفنا المصادر بمعلومات ذات قيمة عن شادي ، ولكن يبدو أنه لم يكن شخصية عادية ، فقيام بهروز بالإرسال إليه واستدعائه إلى العراق يدلُّ على ذلك ، فكان أن أجاب شادي إلى طلب الأمير السلجوقي ، لاسيما وإن المدينة الصغيرة تضيق به وبطموحاته وهذا ما فسرته سير الأحداث اللاحقة[3] .

ب – المرحلة الثانية (الإقليمية) :

ابتدأت هذه المرحلة بوصول شادي وأبنه إلى العراق وتعيينه في قلعة تكريت[4] ، ونجح شادي في تثبيت أقدام أسرته فيها بفضل قدراته ، وما كان يتمتع به من مؤهلات شخصيته ، فضلاً عن عوامل أخرى تتمثل بوجود الأكراد في هذه المدينة[5] ، وعندما توفي شادي خلفه أبنه نجم الدين الذي كان يتمتع بقدرات ذاتية هو الآخر ، ساهمت في زيادة نفوذ الأسرة الأيوبية كثيراً[6] ، حتى أن بوادر الشك والخوف بدأت تظهر على بهروز من ازدياد قوة ونفوذ هذه الأسرة[7] ، لاسيما وإن الأخوين نجم الدين وشيركوه يتمتعان بصفات إدارية وسياسية وعسكرية ، ما أخذ يولد صراعاً بين الطرفين حول

---

(4) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص297 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص6 .

(5) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص221 ؛ ابن سباط ، حمزة بن احمد بن عمر (ت926هـ/1519) ، صدق الأخبار ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، جردس برنس ، (لبنان – بلات) ، ج1 ، ص122 .

(6) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص4 ؛ بيومي ، قيام الدولة ، ص60 .

(1) ينظر : ابن خلدون ، تأريخ ، ج5 ، ص612 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج6 ، ص373.

(2) ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص263 ؛ الأهل ، أيام صلاح الدين ، ص29 .

(3) ينظر : أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص263 ؛ الذهبي ، تأريخ الإسلام ، ج12 ، ص390 .

(4) ينظر : ابن خلدون ، تأريخ ، ج5 ، ص613 ؛ عبد المنعم ، دراسات في تأريخ الأيوبيين ، ص8.

تكريت[1] ، ممّا يؤدي إلى سحب البساط من تحته ، وتقلب الأمور على غير عادتها ، ولم يكن بهروز الخادم يستطيع أن يطرد هذه الأسرة استناداً إلى هواجسه ومخاوفه ، فالأمر أصعب من ذلك ، لاسيما وأن علاقات حميمة كانت تربطه بشادي والدهم[2] ، فضلاً عن أن هذين الأخوين أخذا يتمتعان بتأييد شعبي كبير[3] ، وعلى هذا فإن انتظار الفرص دون إثارة نتائج عكسية تبدو الأنسب إليه ، فكانت فرصة إقدام نجم الدين على مساعدة عماد الدين زنكي عدو بهروز تبدو مناسبة[4] ، وإن الوقت قد حان لطرد الأسرة لاسيما وأن سبباً آخر قد أضيف إلى هذا الموقف المتأزم وهو قيام شيركوه بقتل أحد أمراء بهروز ، فأمرهم بالرحيل عن تكريت[5] ، وانتهت هذه المرحلة برحيلهم إلى الموصل سنة (532هـ/1138م)[6] .

ج – المرحلة الثالثة:

تبدأ هذه المرحلة منذ تولي صلاح الدين الأيوبي الوزارة في مصر في عام (564هـ/1169م)[7] ، وتنتهي بوفاة صلاح الدين في سنة (589هـ/1193م)[8] ، وفي هذه المرحلة نجح صلاح الدين في حسم الصراع على حكم مصر لصالحه بعد ما تمكن من القضاء على التحديات الفاطمية في مصر ، ثم تمكن من توحيد مصر وبلاد الشام في دولة واحدة لمواجهة الغزو الصليبي وإعادة النفوذ العباسي إلى المناطق التي دخلت

---

(5) ينظر : ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص263 ؛ الذهبي ، تأريخ الإسلام ، ج12 ، ص390 .

(6) ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1 ، ص255 ؛ الحريري ، بناء الجبهة الإسلامية ، ص96.

(7) ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص221 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص8 .

(8) ينظر : أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص263 ؛ الحريري ، بناء الجبهة الإسلامية ، ص96 .

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص308 ؛ عبد المنعم ، دراسات بتأريخ الأيوبيين ، ص8 .

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص4 ؛ الذهبي ، تأريخ الإسلام ، ج12 ، ص390 .

(3) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص222 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص6 ؛ النتشة ، رفيق شاكر ، إسماعيل احمد باغي ، عبد الفتاح حسن ابو علية ، تأريخ فلسطين وجغرافيتها ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات ، (بيروت – 1991م) ، ص37 .

(4) عماد الدين الأصبهاني ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الكاتب (ت597هـ/1200) ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ط1 ، دار المنار ، (القاهرة – 2004م) ، ص326 ؛ القرماني ، أخبار الدولة ، ج2 ، ص256 .

ضمن دولته[1] ، ونجح في التصدي للغزو الصليبي ، ووقف بكلِّ قوته ضد ريتشارد قلب الأسد ملك انكلترا في الحملة الصليبية الثالثة على بلاد الشام[2] ، ومن خلال هذه النجاحات العسكرية وصل صلاح الدين إلى العالمية عندما توج انتصاراته في نصره في حطين[3] ، واستطاع أن يحسم الصراع على القدس مع الصليبيين عند دخولها في سنة (583هـ/1187م)[4] ، وأعطت معاملته الإنسانية للصليبيين صورة مثالية عن الإسلام والمسلمين بقيت في ذاكرة الأوربيين لأجيال لاحقة ، فهي الصورة الحقيقية لرسالة المصطفى محمد ﷺ العالمية والإنسانية[5].

---

(5) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص200 ؛ عبد المنعم ، دراسات في تأريخ الأيوبيين ، ص57.

(6) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص178 ؛ الربيعي ، عبد الله بن عبد الرحمن ، أثر الشرق الاسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية ، جامعة الرياض ، (الرياض – 1994م) ، ص77 .

(7) حطين : قرية بين أرسوف وقيسارية ، بها قبر النبي شعيب عليه السلام ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص411 ؛ ابن بطوطة ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي (ت779هـ/1377م) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) ، تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت – 1992م) ، ص111 .

(1) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص16 ؛ ابن شداد ، محمد بن علي بن إبراهيم (ت684هـ/1285م) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق : يحيى زكريا عبارة ، ط1 ، وزارة الثقافة ، (دمشق – 1991م) ، ج1 ، ص398 ؛ خطاب ، ثورة علي ، موقف بيزنطة من الغزو الصليبي (489-601هـ/1095-1204م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، 2002م ، ص139 .

(2) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص75 ؛ نتنج ، أنتوني ، العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام ، ترجمة : راشد البرادي ، مطبعة الانجلو المصرية ، (القاهرة – 1974م) ، ص264 .

المبحث الثاني

صلاح الدين الأيوبي والخطوات الضرورية لتثبيت حكمه على مصر

أولاً . إصلاحات صلاح الدين :

أصبح صلاح الدين وزيراً في الدولة الفاطمية من سنة (564هـ/1171م) لغاية سنة (569هـ/1174م)، وكان يدرك أن أمامه صعوبات جمة[1] ، لابد من تداركها ، وهذا يملي عليه بطبيعة الحال أن يختار السبل لتحقيق هدفه ، ويبدو أنه كان ناجحاً في هذا المضمار إلى حدٍ بعيد ، فقد تمكن من أن يسلب قلوب أهل مصر[2] ، ويتقرب منهم بجملة من الإجراءات الاقتصادية متمثلة ببذل المال والإعفاء من الضرائب ، فضلاً عن إخضاع مماليك عمه (الاسدية) وجعلهم في خدمته[3] ، وعليه يمكن القول بأن ما قام به صلاح الدين من إصلاحات كانت على النحو الآتي :

1- الإصلاح في الجانب العسكري :

حرص صلاح الدين على تكوين جيش قوي من مصر ، ليتمكن به حسم الصراع لصالحه من خلال تثبيت جذور أسرته في الحكم ، وأعتمد على عناصر جديدة في هذا التكوين فكان الأكراد والأتراك من العناصر المهمة فيه[4] ، إذ أنشأ فرقة جديدة أسماها

---

(1) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص371 ؛ القلقشندي ، احمد بن علي بن احمد (ت821هـ/1418م) ، المختار من كتاب صبح الأعشى في كتابة الانشا ، تحقيق : عبد القادر زكار ، مطبعة وزارة الثقافة ، (دمشق – 1983م) ، ج4 ، ص145 .

(2) ابن الاثير ، التأريخ الباهر ، ص143 ؛ ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص293 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى في كتابة الانشا ، دار الكتب الخديوية ، مطبعة الأميرية ، (القاهرة – 1914م) ، ج3 ، ص432 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص295 ؛ زكار ، سهيل ، حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس ، ط1 ، دار حسان للنشر ، (دمشق – 1984م) ، ص91 .

(4) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص176 ؛ أيوب ، إبراهيم ، التأريخ العباسي السياسي والحضاري ، ط1 ، الشركة العالمية ، (بيروت – 1989م) ، ص197 .

(الصلاحية)[1] ، ودمج معها فرقاً أخرى مثل الفرقة (الاسدية)[2] ، فضلاً عن الفرق الأخرى من المماليك والأتراك[3] ، أما أفراد الجيش المصري القديم فقد تخلص منهم ، لأنه أدرك أنهم سوف يخلقون صراعاً داخل الجيش المصري في حال بقائهم لأنَّ ميولهم فاطمية[4] ، فضلاً عن أن هذا الجيش كان ممزقاً بفعل الصراعات بين قادته[5] ، واستطاع أن يدفع رواتب هذا الجيش من خلال نظام الإقطاع[6] .

2- الإصلاح في الجانب الاقتصادي :

ممّا لا شك فيه أنَّ الاقتصاد يمثل قوة الدولة ، وعلى هذا فقد عمل صلاح الدين على إجراء إصلاحات في الاقتصاد المصري خدمة لمصالح دولته الآنية والمستقبلية[7] ، والدولة التي تمتلك اقتصاداً قوياً تستطيع أن تحسم الصراع لصالحها وهذا ما أدركه صلاح الدين[8] ، فعمل على إحكام قبضته على الخزانة المالية للدولة عن طريق تعيين والده نجم الدين مسؤولاً عن هذه الخزانة[9] ،لان والده كان يرى ان ابنه جدير بالوزارة وليتمكن أن يضع الأموال في مكانها المناسب ويتحاشى حالات الاختلاس والتبذير في المال العام ، ومن إصلاحاته الاقتصادية إطلاق حرية التجارة وكان هذا عاملاً مهماً من

---

(1) الصلاحية : نسبة إلى اسمه (صلاح) ، والناصرية نسبة إلى لقبه (الناصر) الذي منحه إياه العاضد الفاطمي ، ينظر : ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص229 .

(2) الاسدية : نسبة إلى اسد الدين شيركوه عم صلاح الدين ، ينظر : أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص155 .

(3) ابن إياس ، محمد بن احمد الحنفي (ت908هـ/1502م) ، نزهة الأمم في العجائب والحكم ، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب ، ط1 ، مطبعة مدبولي ، (القاهرة- 1995م) ، ص134 .

(4) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص294 ؛ ملح رقم (1).

(5) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص178 .

(6) الإقطاع : ما يقطع من الأراضي والبلاد والضياع للأمراء والجند والموظفين ليتخذوا من غلاتها أرزاقهم ، ينظر : المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص95 .

(7) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص18 ؛ زكار ، حطين مسيرة التحرير ، ص93 .

(8) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص305 .

(9) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص85 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص186 .

عوامل النشاط التجاري في عهده[1] ، إذ شجع التجار من خارج مصر على دخولها بحرية ويسر[2] ، فضلاً عن هذا فأنه عمل على تحسين أوضاع الناس المعيشية من خلال إلغاء الضرائب الإضافية التي تقرها الشريعة الإسلامية ومنها ضريبة المكوس الديوانية[3] ، وبذلك وفر نوعاً من الانتعاش الاقتصادي وحياة معيشية تبدو جيدة للناس[4] .

3- الإصلاح في الجانب السياسي :

عمل صلاح الدين تحت أمرة آل زنكي[5] ، وحرصت هذه الأسرة على إقامة علاقات جيدة مع الخلافة العباسية في بغداد على الرغم من أنها كانت مستقلة عن بغداد ولها السيطرة التامة على أراضي واسعة في العراق ، إلا أنها كانت تابعة إسمياً للخليفة العباسي[6] ، وكان الأخير يقوم بإرسال التقليدً[7] والتشريفات والخلع[8] إلى آل زنكي في

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص344 ؛ المقريزي ، الخطط ، ج3 ، ص405 .

(2) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص321 ؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، ط2 ، دار المعارف ، (القاهرة – 1969م) ، ص257 .

(3) المكس : أصل المكس في اللغة الجباية ، مكسه يمكسه مكساً ، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الاسواق في الجاهلية ، ويقال للعشار : صاحب مكس ، والمكس انتقاض الثمن في البيع ، ينظر : المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص131 .

(4) ابن إياس ، نزهة الأمم ، ص141 .

(5) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص221 ؛ القرماني ، أخبار الدولة ، ج2 ، ص253 .

(6) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص33 ؛ حسين ، محسن محمد ، اربيل في العهد الاتابكي ، مطبعة اسعد ، (بغداد – 1976م) ، ص21 .

(7) التقليد : جمعها تقاليد ، يقال : قلدته أمر كذا إذا وليته إياه ، وهو مأخوذ من القلادة في العنق ، يقال : قلدت المرأة فتقلدت ، ومنه التقليد في الدين أيضاً ، ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج11 ، ص101 .

(8) الخلع : جمع خلعة ثوب أو نحوه منحه السلطان أو الخليفة إلى أحد المقربين إليه عنواناً على رضاه ، وتشتمل على جبة مطرزة وعمامة وطيلسان وسيف ، ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص52 .

الموصل لتأكيد شرعية حكمهم في تلك المناطق التابعة إلى نفوذهم[1] ، ولم يشذ صلاح الدين عن هذا النهج في علاقته مع الخلافة العباسية في بغداد[2] ، ولكي يكسب ود الخلافة وتأييدها عمل صلاح الدين على قطع الخطبة عن العاضد الفاطمي (555-567هـ/1160-1171م)[3] ، وأعلنها للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1179م)[4] ، وهذا يعني أن الخلافة العباسية نجحت في حسم الصراع مع الخلافة الفاطمية وتمكنت من إعادة نفوذها إلى مصر ولو شكلياً ، ونجحت في القضاء على الدولة الفاطمية التي كانت في عداء شديد مع الدولة العباسية[5] ، ثم عمل صلاح الدين على إرسال حملات عسكرية إلى أفريقيا واليمن وبلاد النوبة ، ونجح في السيطرة على تلك المناطق وأعادها إلى نفوذه [6]

ثانياً . إجراءات صلاح الدين السياسية والعسكرية :

1- سياسته تجاه بلاد النوبة :

هي مملكة تدين النصرانية وعاصمتها دنقلة ، وتقع في أعالي نهر النيل ولها علاقات وثيقة مع مصر منذ الفتح الإسلامي وتخضع لسلطان مصر وتدفع الجزية السنوية[7] ، وكانت في حالة صراع مستمر مع مصر لأجل إنهاء سيطرة الأخيرة عليها أو تستغل

---

(1) عماد الدين الاصبهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق محمد بهجت الأثري وجميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد – 1955م) ، ج1 ، ص10.

(2) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص291 ؛ القرماني ، أخبار الدولة ، ج2 ، ص255 .

(3) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج2 ، ص197 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص201 ؛ دفتري ، فرهاد ، خرافات الحشاشين وأساطير الاسماعليين ، ترجمة : سيف الدين القصير ، مطبعة المدى ، (سوريا – 1996م) ، ص65 .

(4) المستضيء : الحسن بن يوسف بن محمد أبو محمد بن المستنجد بالله ، ولد سنة (536هـ) ، أمه أو ولد أرمينية واسمها غضة ، بويع بالخلافة يوم موت أبيه سنة (566هـ) ، ومات سنة (575هـ) ، ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص190 ؛ ابن الاثير ، التأريخ الباهر ، ص179 .

(5) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص244 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج3 ، ص432 ؛ الحكيمي ، الشيخ محمد رضا ، بداية الفرق نهاية الملوك ، تعليق : شاكر الإبراهيمي ، ط1 ، دار الفردوس ، (بيروت – 1990م) ، ص176 .

(6) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص267 ؛ القرماني ، أخبار الدول ، ج2 ، ص182 .

(7) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص306 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص339 .

حالة الضعف والفوضى التي تحدث في مصر[1] ، فقرر صلاح الدين إرسال حملة عسكرية بقيادة تورانشاه إلى هذه البلاد في (جمادى الآخرة 568هـ/كانون الثاني 1183م)[2] ، وذلك لحماية الحدود الجنوبية لمصر ومن أجل حسم الصراع بين سكان تلك المناطق حول أفضلية نشر الدين الإسلامي على نشر الدين أو الديانة النصرانية من خلال إيقاف الحملات التبشيرية التي كان أهل النوبة يقومون بنشرها[3] ، واستطاع تورانشاه أن يستولي على إبريم[4] ، ثم عاد إلى مدينة قوص[5] ، وإلى تورانشاه الذي يرجع الفضلُ لهُ في نشر الإسلام في مناطق التي لم يصلها العرب المسلمون من قبل ، وجعل إبراهيم الكردي والياً عليها[6] ، وحاول النوبيون عقد صلح مع تورانشاه لكنهُ رفض ذلك[7] .

2- سياسته تجاه اليمن :

أتخذ صلاح الدين قراره بضم اليمن إلى دولتهِ لأسبابٍ عدة[8] ، كان من أهمها : ما يتعلق بإدامة الاقتصاد المصري من خلال تأمين التجارة عن طريق اليمن ، فضلاً عن ذلك اضطراب أحوال اليمن السياسية وخروج وإليها عبد النبي المهدي العلوي[9] على الخليفة العباسي في بغداد الذي لقب نفسه بالإمام ، فأوجد بذلك صراعاً حقيقياً سياسياً مع

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص307 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج6 ، ص276 .

(2) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص258 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص228 .

(3) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص229 ؛ غيطاس ، محمد ، حملة اليونسكو وأضواء جديدة على تاريخ النوبة ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية – 1987م) ، ص113 .

(4) إبريم : هي اسم القلعة في بلاد النوبة ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص45 .

(5) قوص : هي مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر ، بينها وبين الفسطاط إثنا عشر يوماً ، وأهلها أرباب ثروة واسعة ، وهي محط التجار القادمين من عدن ، وهي شرقي النيل ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج4 ، ص201 .

(6) ينظر : ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص247 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص51 .

(7) ينظر : ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص248 ؛ العيني ، السيف المهند ، ص189 .

(8) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص69 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص52 .

(9) عبد النبي : عبد النبي بن المهدي بن علي بن المهدي الحميري ، صاحب زبيد وليها استقلالاً بعد موت أبيه المهدي سنة (559هـ) ، قاتل ملوك اليمن واجتمع له ملوك الجبال والتهائم ، قتله تورانشاه سنة (570هـ) ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج4 ، ص320 .

الخلافة العباسية في بغداد[1] ، وهناك سبب آخر يتعلق بأخوة صلاح الدين الذين أصبحوا في حالة من التنافس مع صلاح الدين على حكم مصر ، ربما ستؤدي إلى صراع دموي داخل الأسرة الأيوبية[2] ، فأضطر صلاح الدين إلى إرسال حملة عسكرية بقيادة أخيه تورانشاه إلى اليمن سنة (569هـ/1174م)[3] ، واستطاع تورانشاه أن ينتصر على عبد النبي العلوي ، وأعاد اليمن إلى النفوذ العباسي من جديد ، ومن جهة ثانية نجح صلاح الدين في إبعاد أخيه عن مصر وأخماد الصراع العائلي[4] .

3- سياسته تجاه المغرب الأدنى :

وضع صلاح الدين خططاً لحكمه في مصر ، أصبحت من الثوابت الأساسية في ذلك وتتمثل بقوة مصر الخارجية[5] ، فبدأت أولى خطواته بضم المغرب الأدنى[6] ، إذ أرسل قوة عسكرية تجاهها بقيادة الأمير قراقوش ، وكان الغرض من ذلك تأمين الحدود الغربية لمصر ، لأنَّ صلاح الدين كان على يقين من أنه سوف يدخل في صراع طويل مع الصليبيين لهذا أراد تأمين الجبهة الخلفية في مصر[7] ، فضلاً عن ذلك أنَّ البدو

---

(1) المقريزي ، الذهب المسبوك ، ص100 ؛ الشامي ، احمد ، صلاح الدين والصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية ، ط1 ، مؤسسة شباب الجامعة ، (الإسكندرية – 2002م) ، ص93 .

(2) الصفدي ، تحفة ذوي الألباب ، ج3 ، ص95 ؛ العيني ، السيف المهند ، ص189 .

(3) المقريزي ، الذهب المسبوك ، ص100 ؛ عبد المنعم ، صبحي ، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين ، دار العربي ، (القاهرة – 1993م) ، ص143 .

(4) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص88 ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج2 ، ص704 ؛ الحمري ، عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله ، تاريخ اليمن من كتاب (كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار) ، تحقيق : عبد المحسن مدعج المدعج ، مؤسسة الشراع ، (الكويت – 1992م) ، ص91 .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص17 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص335.

(6) المغرب الأدنى : (أفريقية) : وهو أول أقاليم المغرب وأقربها إلى مركز الخلافة في المشرق العربي ، ويمتد من طرابلس حتى بجابة غرباً وقاعدته مدينة القيروان ، ينظر : ذنون ، عبد الواحد طه ، خليل السامرائي ، ناطق صالح مطلوب ، تاريخ المغرب العربي ، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، (ليبيا – 2004م) ، ص13 .

(1) رُوسي ، إتوري ، ليبيا منذ الفتح العرب حتى سنة 1911م ، ترجمة : خليفة محمد التليسي ، ط2 ، مكتبة الاسكندرية ، (طرابلس – 1991م) ، ص109 .

كانوا يثيرون حالات من الفوضى على هذه الحدود ، وقد نجح الأمير قراقوش في مهمته هذه[1] ، فأستولى على برقة سنة (571هـ/1175م) ، ثم على طرابلس ونجح في ضم تلك المناطق إلى الدولة الأيوبية[2] .

ثالثاً . علاقة صلاح الدين بالخلافة العباسية :

على الرغم من فقدان الخلافة العباسية لقوتها العسكرية ، إلاَّ أنها كانت ما تزال تمتلك السلطة الروحية والشرعية ولو كانت اسمية على حكام الأطراف[3] ، وكان خلفاء بني العباس يحاولون بكلِّ الوسائل كسب الصراع حول حكم الأقاليم البعيدة لصالحهم وتقليص صلاحيات حكامها المطلقة الذين كانوا يرسلون الأموال والهدايا من أجل ترضية الخليفة العباسي في بغداد[4] ، مقابل الاعتراف بسلطة هؤلاء الحكام على الأقاليم ، وعلى هذا ومن نفس المنطلق حرص صلاح الدين على كسب ود الخلافة من خلال تقديم خدمات كبيرة لها[5] ، إذ أنه حسم الصراع للعباسيين من خلال إعادة نفوذهم أسمياً إلى مصر واليمن ، ورفعت الأعلام العباسية هناك ، فضلاً عن ذكر اسم الخليفة والدعاء له في الخطبة على المنابر ونقش اسمه على السكة[6] ، أما الخليفة العباسي فقد أرسل إلى صلاح الدين التقليد والخلع مع التفويض له بحكم المناطق التي يسيطر عليها بالقوة ، وهذا يعني أن صلاح الدين كسب الصراع مع المنافسين له ، وأخضع أمراء الأقاليم من

---

(2) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص236 ؛ المقريزي ن السلوك ، ج1 ، ص60 .

(3) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص88.

(4) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص255 ، بهجت ، أثر الحضارة السلجوقية ، ج1 ، ص84 ، عوض ، دراسات في الصراع الإسلامي – الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية (541-569هـ/1146-1174م) ، ط1 ، عين للدراسات ، (القاهرة – 1998م) ، ص55 .

(5) ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص315 ؛ ابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/1309م) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، (بيروت – بلات) ، ص263 .

(6) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص33 ؛ الصديقي ، محمد بن سرور البكري (ت1087هـ/1676م) ، النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، تحقيق : عبد الرزاق عيسى ، ط1 ، مطبعة العربي ، (القاهرة – 1998م) ، ص98 .

(1) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج2 ، ص697 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص200 .

خلال حصوله على الشرعية من الخلافة[1] ، وظلَّ صلاح الدين على علاقةٍ طيبةٍ مع الخليفة المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1179م)[2] ، واستمر صلاح الدين في علاقته الجيدة مع الخلافة العباسية في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي (575-622هـ/1179-1225م)[3] ، فأرسل إليه رسالة يَحمل فيها أمر التهنئة بمناسبة توليته الخلافة وطلب منه تفويض بالحكم ، فأرسل إليه الناصر لدين الله كتاب التفويض ويحمل هذه الرسالة عبارات التفخيم الكثير مثل عماد الدولة وناصر الدولة[4] ، ولكن لم يكن الأمر يستمر على ما يرام بين الطرفين بسبب أنَّ صلاحَ الدينِ أراد مَدَّ نفوذهُ نحو الموصل[5] ، من خلال تفويض الخلافة له بذلك لإكمال المشروع الجهادي الذي بدأ به وأرسى قواعده زنكي وأبنه نور الدين وهو تكوين سد أمام المَدّ الصليبي ، لكنَّ الناصر لدين الله رفض منح التفويض[6] ، لأنه أراد أن تكون الموصل خطاً دفاعياً لحماية الخلافة في بغداد[7] ، وربما كانت للوشايات أثرها في اتخاذ الخليفة قراراً بمنع التقليد[8] ، وربما حاول الخليفة العباسي بهذه الطريقة خلق صراع مستمر بين آل زنكي وصلاح الدين من خلال الوقوف مع آل زنكي ضد أطماع صلاح الدين في الموصل[9] ، وبذلك يمنع أي تحالف بينهما في المستقبل ضد الخلافة العباسية من جهة ، ومن جهة ثانية

---

(2) ابن الاثير ، التأريخ الباهر ، ص157 .

(3) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص322 ؛ ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن احمد (ت697هـ/1297م) ، مختصر التأريخ من أول الزمان إلى منتهى الدولة العباسية ، تحقيق : مصطفى جواد ، مطبعة وزارة الإعلام ، (بغداد – 1970م) ، ص237 .

(4) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص378 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج3 ، ص265 ؛ عزام ، خالد ، موسوعة التأريخ الإسلامي العصر العباسي ، ط1 ، دار أسامة ، (عمان – 2006م) ، ص265 .

(5) طقوش ، سهيل ، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة (569-661هـ/1174-1263م) ، ط2 ، دار النفائس ، (بيروت – 2008م) ، ص184 .

(6) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج12 ، ص124 ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج12 ، ص480 .

(7) الشامي ، صلاح الدين والصليبيون ، ص116 .

(8) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج7 ، ص173 .

(1) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص40.

(2) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج12 ، ص480 .

نجح الخليفة في إبعاد صلاح الدين عن تلك المناطق[1] ، بينما أعاد النفوذ العباسي إليها واستطاع أن يزرع صراعاً طويل الأمد بين أمراء تلك المناطق ، وهذه هي أبرز سمات سياسة الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1179-1225م) ، وهي سياسة الإيقاع بين الأصدقاء والأعداء[2] ، وأخذت العلاقات بين الطرفين تسير بطريق وعر ، فقد جاءت الحملة الصليبية الثالثة على بلاد الشام سنة (585هـ/1189م)[3] ،لتزيد من الطين بلة فقد طلب صلاح الدين من الخليفة العباسي الناصر لدين الله أن ينجده بمساعدات عاجلة[4] ، وقد لبى الخليفة ذلك ، ولكن حجم تلك المساعدات لم يكن ليرتقي لمستوى التهديد[5] ، وربما أن الخليفة العباسي تصور أنه بذلك يحرم بغداد من قوتها العسكرية ، وبذلك تصبح غير قادرة على مواجهة الأخطار في المستقبل[6] ، أو أنه أراد بهذه المساعدات المتواضعة إضعاف صلاح الدين عن طريق استنزاف موارده البشرية والمادية من خلال صراعه المستمر مع الصليبيين ممّا يسهل على بغداد فرض سيطرتها على الأسرة الأيوبية[7] ، لأن الخليفة العباسي الناصر لدين الله أخذ يعمل على إعادة الهيبة إلى الخلافة العباسية من خلال إعادة نفوذها إلى الأقاليم التي كانت تابعة لها سابقاً[8] ، وكان رد صلاح الدين على هذه المساعدات المتواضعة أنه قال كما جاء في

---

(3) ابو الفداء ، التبر المسبوك في تواريخ الملوك ، تحقيق ، محمد زينهم محمد عزب ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة – 1995م) ، ص57 .

(4) ابن الطقطقا ، الفخري ، ص322 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج7 ، ص173 .

(5) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص178 ؛ الأهل ، أيام صلاح الدين ، ص195 .

(6) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص179 ؛ حمادة ، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ، ص321 .

(7) اكتفى الناصر لدين الله بإرسال حملين من النفط وخمسة من النفاطين الزراقين ورقعة موقعة بعشرين ألف دينار يقترضها صلاح الدين من التجار ، ينظر : ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص183 .

(8) ابن القرماني ، أخبار الدول ، ج2 ، ص185 .

(1) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج7 ، ص173 ؛ محفوظ ، اللواء جمال ، قاسم عبدة قاسم ، سعيد عاشور ، شكري عياد ، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات ، (بيروت – 1987م) ، ص143 .

(2) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج7 ، ص173 ؛ الخضري ، الشيخ محمد ، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ، تحقيق : إبراهيم أمين ، المطبعة التوفيقية ، (القاهرة – ب ت) ، ص541 .

رواية ابن شداد على لسان صلاح الدين ، إذ يقول : " أنا في يوم واحد أخرج مثل هذا وأضعافه "[1] .

رابعاً : علاقة صلاح الدين بـ(آل زنكي) وجهوده في توحيد جبهته :

لقد تصدعت الجبهة الإسلامية بعد وفاة نور الدين محمود سنة (569هـ/1174م) بسبب تقسيم دولة نور الدين بين أمرائه وأهل بيته[2] ، فظهر الصراع على السلطة والاراضي والنفوذ في الدولة النورية ، وذلك لأنَّ وريث نور الدين الملك الصالح إسماعيل (569-577هـ/1174-1181م) كان صغيراً دون المستوى[3] ، فأستغل سيف الدين غازي اتابك الموصل[4] ذلك ، وأراد أن يحسم الصراع على زعامة (بيت آل زنكي) لصالحه عن طريق توسيع نفوذه ، فهاجم بعض المواقع ، مثل : خابور[5] ونصيبين[6] وضمها إلى الموصل ، ولم يتوقف الأمر عند ذلك ، بل نشب صراع بين اثنين من أمراء نور الدين[7] ، هما سابق الدين ابن الداية[8] والأمير ابن المقدم[9] حول من يتولى الوصاية على الصالح إسماعيل ، ومع هذا حرص صلاح الدين على وحدة الأمة ،

---

(3) النوادر السلطانية ، ص183 .

(4) ابن الاثير ، التأريخ الباهر ، ص161 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص297 .

(5) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص274 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص297 .

(6) غازي : سيف الدين غازي ، بن قطب الدين مودود بن زنكي بن آق سنقر الاتابكي التركي صاحب الموصل ، توفي بمرض السل سنة (576هـ) ، ينظر : ابن الاثير ، التأريخ الباهر ، ص180 .

(7) خابور : من أعمال الموصل في شرق دجلة ، وهو نهر من جبال بأرض الزوزان عليه عمل واسع وقرى في شمالي الموصل ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص444 .

(8) نصيبين : مدينة كبيرة في مستواه من الأرض ويخرج مائها عن شعب جبل يعرف ببالوسا ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص211 .

(1) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص92 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص3 .

(2) ابن الداية : سابق الدين عثمان بن محمد بن نوشتكين المشهور بابن الداية صاحب شيزر أحد أولاد الداية الأربعة ، وكانت أمهم داية و تعني (مربية) نور الدين محمود ، توفي سنة (592هـ) ، ينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص21 .

(3) ابن المقدم : شمس الدين محمد بن عبد الملك من كبار أمراء نور الدين ، تولى الوصاية على الصالح إسماعيل وشارك في حطين ، وقتل مكة أثناء الحج في سنة (583هـ) ، ينظر : الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص86 .

وأعلن ولاءه للملك الصالح ، وخطب له على المنابر وضرب العملة باسمه وأرسلها إلى دمشق ، وأرسل إلى الملك الصالح يعزيه بوفاة والده, وهذا لكي يكسب الشرعية الرسمية من الصالح اسماعيل [1] ، لكنَّ الصراعَ المحتدم بين القادة والأمراء حول السلطة ، وتغلب الأطماع الشخصية لدى هؤلاء على مصالح الدولة أدى إلى تدهور الأوضاع السياسية في بلاد الشام ، فأستغلها الصليبيون الذين هاجموا بانياس[2] سنة (569هـ/1174م) وحاصروها[3] ، لكنَّهم فشلوا في دخولها ، اذ ان الأمير ابن المقدم عقد معهم صلحاً واتفقوا على التصدي لصلاح الدين[4] ، الذي خرج بجيشه من مصر إلى بلاد الشام سنة (570هـ/1174م)[5] ، و نجح في دخول مدينة دمشق في (شهر ربيع الآخرة/تشرين الثاني) ، وجعل على المدينة أخاه طغتكين[6] ، ثم سار صلاح الدين بقواتهِ إلى حمص ونجح في ضمها[7] ، ومنها توجه نحو حلب وفرض عليها حصاراً في (3جمادى الآخر 570هـ/3كانون الأول1174م) لكنَّهُ فشل في دخول المدينة[8] ، بسبب إصرار الأمير كمشتكين[9] على مقاومة صلاح الدين واستعداده للدخول في صراع معه حول مدينة حلب .

---

(4) ابن الاثير ، التأريخ الباهر ، ص163 ؛ أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص405 .

(5) بانياس : بلدة قرب دمشق تحت الجبل الذي في غربي دمشق يرى عليه الثلج ، وفيها الليمون والاترج ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص158 .

(6) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص276 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص229 .

(7) ابن كثير البداية والنهاية ، ج12 ، ص322 ؛ بيطار ، غيد الياس ، اللاذقية عبر الزمن من عصر ما قبل التأريخ إلى عام 1963م ، دار المحبة ، (دمشق – 1963م) ، ج2 ، ص215-216 .

(8) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص282 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص92.

(9) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص22 ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص73 .

(10) ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص140 .

(1) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص93 ؛ أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص10 ؛ صائغ ، القس سليمان الموصلي ، تاريخ الموصل ، المطبعة السلفية ، (مصر – 1923م) ، ج1 ، ص183 .

(2) كمشتكين : سعد الدين كمشتكين خادم نور الدين ، وهو خصي ، عينه نور الدين قائد حامية على قلعة الموصل لما ملكها نور الدين ، ثم أصبح مقدم العسكر لدى صاحب حصن حارم ، ثم مدبر أمور حلب ، وسيطر على الصالح إسماعيل ، لكنه قتل في سنة (573هـ) ، ينظر : أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص177 .

فأضطر إلى الانسحاب والتوجه إلى بعلبك ونجح في ضمها إلى نفوذه في (4رمضان570هـ/3آذار1175م)[1] ، وحاول صلاح الدين إضفاء الشرعية على صراعه في بلاد الشام فأرسل إلى الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي (566-575هـ/1170-1179م) يطلب منه تقليداً بولاية الشام[2] ، فأرسل إليه الخليفة العباسي ذلك مع الخلع والتشريفات ، ممّا أعطى بُعداً سياسياً شرعياً له في بلاد الشام[3] ، وهذا ما آثار مخاوف الأمير سيف الدين غازي (565-576هـ/1169-1180م) الذي قرر الدخول في صراع مع صلاح الدين حول من يسيطر على بلادِ الشام[4] ، فاشتبك معه في معركة (قرون حماه)[5] وذلك في (19رمضان571هـ/23نيسان1175م)[6] ، لكن صلاح الدين نجح في الانتصار على أمير الموصل الذي لم يقبل بالخسارة فجمع قواته من جديد ، وكانت معركة (تل السلطان)[7] في (10شوال571هـ/12نيسان1176م) لكنَّهُ تعرض لهزيمة مَرّة أخرى[8] فأضطر (آل زنكي) إلى طلب الهدنة من صلاح الدين فأجابهم إلى ذلك[9] ،

---

(3) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص29 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص339 .

(4) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص11 ؛ عاشور ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، دار الأحد ، (بيروت – 1977م) ، ص72 .

(5) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص60 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص141 ؛ جودة ، صادق احمد داود ، مجاهد الدين قايماز نائب إربد والموصل (559-595هـ) ، ط1 ، دار عمار ، (بيروت – 1985م) ، ص21 .

(6) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص95 ؛ أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص23 ؛ العزاوي ، عباس ، شهرزور – السليمانية ، اللواء والمدينة ، ط1 ، مطبعة السالمي ، (بغداد – 2000م) ، ص127 .

(7) قرون حماه : تلتان متقابلتان تبعد عن دمشق خمسة أيام وعن حلب أربعة أيام ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص300 .

(1) ابن كثير, البداية ,ج9, ص86 .

(2) تل السلطان : موضع بينه وبي حلب مرحلة نحو دمشق وفيه خان ومنزل للقوافل وهو المعروف بالفندق ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص42 ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص271 .

(3) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص75 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص25 .

(4) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص76 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص301 .

ولكن وفاة كلٍّ من الأمير سيف الدين غازي سنة (576هـ/1180م)[1] ، والملك الصالح إسماعيل بن نور الدين سنة (577هـ/1181م)[2] ، صبت في مصلحة صلاح الدين الذي نجح بعد ذلك في كسب الصراع على بلاد الشام بكلِّ سهولةٍ ، لأن البيت الزنكي خسر قادته وآنعدم تأثيرها على الساحة السياسية في بلاد الشام[3] ، ونجح صلاح الدين في ضم الرها[4] وسروج[5] والرقة[6] ، ثم تمكن من فرض الحصار الأول على مدينة الموصل سنة (578هـ/1182م)[7] ، لكنَّهُ فشل في دخولها وعوض ذلك بدخول أمد[8] صلحاً وذلك في عام (579هـ/1184م)[9] ، ثم تمكن من فرض حصار على مدينة حلب فأضطر أميرها عماد الدين زنكي الثاني إلى عقد صلح إذ تنازل عن حلب لصلاح الدين مقابل احتفاظه بسنجار[10] فتم الاتفاق على ذلك[1] ، وبعد ذلك دخل الناصر حلب في

---

(5) توفي سيف الدين بسبب مرض السل ، وقد عهد بولاية الموصل إلى أخيه عز الدين مسعود وأعطى جزيرة ابن عمران إلى أبنه سنجر شاه ، وفعل ذلك خوفاً من صلاح الدين ، ينظر : أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص482 ؛ جودة ، قايماز ، ص22 .

(6) توفي الملك الصالح بسبب عنب مسموم ، وقيل : شراب مسموم ، واختلف فيمن سمه ، قيل : الأمير ياقوت الاسدي ، وقيل : علم الدين بن سليمان بن جندر ، ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية،ج12، ص16 .

(7) ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص72 .

(8) الرها : مدينة بالجزيرة فوق حران بينها وبين دمشق ست فراسخ ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص72 .

(9) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مضر بينها وبين البيرة مرحلة في الجبال ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص710 .

(10) الرقة : مدينة مشورة على الفرات من جانبها الشرقي بينها وبين حران ثلاثة أيام من بلاد الجزيرة وفي الجانب الغربي منها رقة واسط ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص626 .

(1) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص114 .

(2) أمد : مدينة على جبل من غربي دجلة مطل عليها من خمسين قامة ، وعليها سور اسود من حجارة الارحية ويسمى ذلك السور ميموناً لشدة سواده ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص232 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص350 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص103 .

(4) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة في لحف جبل بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص743 .

(17صفر 579هـ/18حزيران 1183م)[2] ، أدرك السلطان أن صراعه مع آل زنكي سوف يستمر مدة أطول أذا بقيت مدينة الموصل خارج نفوذه أو دولته ، لهذا حاول السيطرة عليها ، فسار سنة (581هـ/1185م) نحو الموصل وفرض عليها الحصار ثم انسحب منها[3] ، ثم سار بعد ذلك إلى مدينة ميافارقين[4] وحاصرها ونجح في دخولها في (29جمادى الآخرة 581هـ/28آب 1185م)[5] ، وبعد ذلك توجه إلى الموصل وفرض عليها الحصار للمرة الثالثة فأضطر أميرها عز الدين مسعود زنكي إلى طلب الصلح بعد أن أيقن بأنَّ كفة الصراع تميل إلى جانب صلاح الدين ، فعقد معه معاهدة للصلح وذلك في (محرم 581هـ/1186م)[6] ، والتي نصت على : تنازل عز الدين مسعود عن شهرزور[7] والبوازيج[8] مقابل بقاء عز الدين مسعود في الموصل ، على أن يخطب ويضرب السكة بآسمه ، وأن يشارك جيش الموصل مع جيش الأيوبي في حرب الصليبيين[9] ، ومن خلال هذه الأحداث يظهر لنا أنَّ صلاحَ الدينِ كان كريماً مع آل

---

(5) ابن الاثير ، التأريخ الباهر ، ص183 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص106 ؛ شميساني ، حسن ، مدينة سنجار من الفتح العربي الإسلامي حتى الفتح العثماني ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت – 1983م) ، ص173 .

(6) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص141.

(7) عماد الدين الاصبهاني ، البرق الشامي ، تحقيق : فالح صالح حسن ، ط1 ، مؤسسة عبد الحميد شومان ، (الأردن – 1987م) ، ج3 ، ص32 .

(8) ميافارقين : مدينة جليلة عظيمة الخطر عليها سور من الحجارة الأبيض وخندق عميق مصطكة العمار ، ضيقة الأسواق ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص234 .

(9) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص368 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص118 .

(10) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج9 ، ص369 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص172 .

(1) شهرزور : كورة واسعة في الجبال بين أربل وهمدان ، وأهلها كلهم أكراد ، والمدينة في صحراء عليها سور سمكه ثمانية أذرع بقربها جبل يعرف بشعران وآخر يعرف بالزلم ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص822 .

(2) البوازيج : بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل ، يصب في دجلة ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج1 ، ص503 .

(3) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص124 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص308 ؛ النقشبندي ، سلام احمد ، مباحث في تاريخ شهرزور في العصر العباسي ، (بغداد – 2006م) ، ص276 .

زنكي ولم يظهر البطش والقسوة معهم ، وكان يحاول أن يكسبهم إلى جانبه لمواجهة الصليبيين[1] .

خامساً . علاقة صلاح الدين بالصليبيين :

يمكن أن نقسم علاقة صلاح الدين بالصليبيين على قسمين أو مرحلتين ، وهما :

1 . المرحلة الأولى (الدفاعية) :

تمتد هذه المرحلة من سنة (570هـ/1174م) إلى سنة (582هـ/1186م) أي حتى توقيع معاهدة الصلح بين صلاح الدين وأمير الموصل[2] ، ومن أبرز سمات هذه المرحلة هي تغلب صفة الطابع الدفاعي على حروب صلاح الدين مع الصليبيين[3] ، لقناعته بعدم استطاعة جيوشه كسب الصراع في هذه المدة المبكرة ، لهذا اضطر إلى عقد معاهدات صلح قصيرة المدى مع الصليبيين مثل المعاهدة التي عقدها مع ملك بيت المقدس بلدوين الرابع (Baldwin IV) (570-581هـ/1174-1185م) في سنة (576هـ/1180م)[4] ، وكذلك المعاهدة التي عقدها مع ريموند الثالث (547 _583هـ/1152 . 1187م) (Raymond III) صاحب طرابلس سنة (581هـ/1185م)[5] ، وهذه المعاهدات زرعت التفرقة بين صفوف الصليبيين ومنحت صلاح الدين الوقت الكافي لكسب الصراع حول مصر وبلاد الشام[6] ، وتحصين دولته خاصة في مصر ، إذ بنى سور القاهرة وقام بتحصين الموانئ مثل الإسكندرية ودمياط[7]

---

(4) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص119 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص24 .

(5) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص123 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص90 .

(6) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص29 ؛ ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج6 ، ص441 .

(7) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص13.

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص26 ؛ الشامي ، صلاح الدين والصليبيون ، ص117 .

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص63.

(3) دمياط : مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والمالح والنيل ، مخصوصة بالهواء الطيب ، وهي ثغر من ثغور الاسلام ، ومن شمال دمياط يصب ماء النيل إلى البحر في موضع يقال له : الاشنوم ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص602 ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص536 .

وساهمت الاضطرابات السياسية داخل مملكة بيت المقدس بعد وفاة عموري الأول سنة (569هـ/1174م)[1] ، في تدهور أوضاع الصليبيين ، لأنَّهم دخلوا في صراع حول الوصاية على الملك الصغير والمريض بـ(البرص) بلدوين الخامس (Baldwin V) (569-582هـ/1174-1186م) ، فأنقسمت مملكة بيت المقدس بسبب الصراع حول الوصاية[2] ، وحاول صلاح الدين استغلال هذه المشاكل لصالحه بصورة جزئية ، فدخل في بعض المعارك ذات الهدف المحدود وغير الحاسم مع الصليبيين مثل معركة الرملة سنة (573هـ/1177م) التي خسرها صلاح الدين[3] ، لكنَّهُ استطاع أن يستولي على حصن (بيت الأحزان)[4] ، وفي هذه المرحلة أدرك صعوبة حسم الصراع لصالحه مع الصليبيين[5] ، لأنه كان عليه أن يحقق الوحدة الإسلامية التي يستطيع بعدها التفرغ لقتال الغزاة ، لهذا ركز على غارات خاطفة ومركزة على بعض معاقل الصليبيين والموافقة على هُدن قصيرة الأجل[6] ، لإكمال توحيد الجبهة الإسلامية التي سوف تمكنه من كسب الصراع مع الصليبيين[7] .

2 . المرحلة الثانية (الهجومية) :

أ . الانتصار في حطين :

---

(4) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص45 ؛ باركر ، الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العريني ، دار النهضة العربية ، (بيروت – 1967م) ، ص79 .

(5) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص200 ؛ الحريري ، سيد علي ، الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، ط3 ، مطبعة الزهراء للأعلام ، (القاهرة – 1985م) ، ص161 .

(6) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص97 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص25 .

(7) بيت الأحزان : بلد بين دمشق والساحل ، زعموا أنه كان مسكن النبي يعقوب عليه السلام أيام حزنه على ابنه يوسف عليه السلام ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص236 .

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص60 ؛ بوول ، ستانلي لين ، صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس ، ترجمة : فاروق سعد أبو جابر ، ط1 ، مطبعة الأهرام التجارية ، (القاهرة – 1995م) ، ص159 .

(2) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص102 ؛ ربيع ، حسنين محمد ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة المصرية ، (القاهرة – 1983م) ، ص235 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص23 ؛ الشامي ، صلاح الدين والصليبيون ، ص117 ؛ أبو حديد ، محمد فريد ، أمتنا العربية ، دار المعارف ، (مصر – 1961م) ، ص164 .

أصبح صلاح الدين جاهزاً لحسم الصراع مع الصليبيين بعد توقيع معاهدة الصلح مع آل زنكي سنة (581هـ/1186م)[1] ، وأصبح ينتظر الفرصة المناسبة لذلك إذ أنه لم يكن ينوي نقض الهدنة معهم ، بل أن الصليبيين هم الذين نقضوا الهدنة[2] ، عندما قام أمير الكرك رينولد شاتبون إرناط (Renaadde Chatitliony) في (رجب 577هـ/تشرين الثاني1181م) بقيادة حملة لاحتلال مكة المكرمة والمدينة المنورة[3] ، لكنَّهُ مُنِيَ بالهزيمة وكان رد صلاح الدين على ذلك هو القيام بحملة على الكرك وفرض حصار على المدينة في (رجب579هـ/تموز1183م) ، لكنَّهُ فشل في دخولها ثم عاد إلى دمشق[4] ، وبعد تدهور أوضاع الصليبيين أجبرت ريموند الثالث صاحب طرابلس والذي أصبح أيضاً وصياً على بلدوين الخامس الصغير ملك بيت المقدس سنة (580هـ/1185م) إلى طلب الهدنة من صلاح الدين[5] ، لكي يتفرغ إلى حسم الصراع حول الوصاية على الملك الصغير[6] ، لكن صلاح الدين استفاد من هذه الهدنة لكي يتفرغ إلى توحيد بلاد الشام ومصر[7] ، وأتفق الطرفان على ذلك وتم عقد الهدنة لمدة أربع سنوات من

---

(4) ابن ايبك الدواداري ، ابو بكر بن عبد الله بن ايك (ت736هـ) ، كنز الدرر وجامع الغرر الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، المعهد الالماني للآثار ، (القاهرة – 1072م) ، ج7 ، ص80 .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص17 ؛ محفوظ ، موسوعة الحضارة ، ج3 ، ص145 .

(6) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص81 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص17 ؛ السيد ، محمود ، تاريخ الحروب الصليبية ، مؤسسة شباب الجامعة ، (الإسكندرية – 2002م) ، ص158 .

(1) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص110 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص127 ؛ البخيت ، محمد عدنان ، مملكة الكرك في العهد المملوكي ، ط1 ، مكتبة الجامعة الأردنية ، (عمان – 1998م) ، ص8 .

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص26 ؛ بوول ، صلاح الدين وسقوط مملكة القدس ، ص159 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص26 ؛ الدبس ، المطران يوسف ، تاريخ سورية الديني والدنيوي ، مراجعة : مارك رعد ، دار نظير عبود (بلام – بلات) ، ج6 ، ص102 .

(4) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص26 ؛ السيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص157 .

(581هـ/1185) إلى سنة (585هـ/1189م)[1] ، لكن أوضاع الصليبين سارت نحو التأزم بعد وفاة بلدوين الخامس ملك مملكة بيت المقدس في (جمادى الآخرة 582هـ/آب1186م)[2] ، إذ تمكن جاي لوزينان (Guy Luighan) في كسب الصراع حول تولي عرش المملكة ، ونجح أيضاً في إبعاد ريموند الثالث أمير طرابلس عن الوصاية على عرش مملكة بيت المقدس ، وعندما أدرك ريموند الثالث بأنه خسر الصراع على عرش المملكة انضم إلى جانب صلاح الدين وهذا التحول يؤكد ان الرغبة الشخصية والعامل الاقتصادي كان وراء كل الحملات الصليبية [3] ، وهذا ما أدى إلى ظهور الصراعات والنزاعات بين الصليبيين وآثار غضب أرناط الذي اتصف بالتعصب والتفكير الضيق ، فقام بنقض الهدنة مع صلاح الدين سنة (583هـ/1186م) ، إذ أوقف قافلة تجارية مارة بأرض الكرك وقتل حراسها ونهب متاعها وأموالها[4] ، وعندما علم صلاح الدين بذلك أرسل إلى الملك جاي لوزينان يطلب رد الأسرى وإعادة الأموال[5] ، لكن أرناط رفض ذلك فقرر صلاح الدين مهاجمة مملكة بيت المقدس لأجل حسم الصراع بشكل نهائي مع الصليبين[6] فخرج من دمشق في (محرم 583هـ/آذار1187م) على رأس جيش إذ هاجم الكرك[7] ، ولم ينجح في دخولها ، ثم سار إلى طبرية[1] في

---

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص26-27 ؛ الشامي ، صلاح الدين والصليبيون ، ص120 .

(6) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص141 ؛ زكار ، حطين مسرة التحرير ، ص106 .

(7) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص142 ؛ إبراهيم ، محمود ، حطين بين أخبار مؤرخيها وشعر معاصريها ، ط1 ، دار البشير ، (عمان – 1987م) ، ص26 .

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص185 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص173 ؛ عبد القادر ، محمد فريد ، معارك فاصلة في تاريخ الإسلام ، دار المستقبل العربي ، (القاهرة – 1998م) ، ص217 .

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص28 ؛ عبد الحميد ، صبحي ، معارك العرب الحاسمة ، ط1 ، مكتب المنار ، (الكويت – 1967م) ، ص171 .

(3) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص142 ؛ الفقي ، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – بلات) ، ص181 .

(4) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص44 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص125 .

(17ربيع الآخرة/26حزيران) ومنها أرتحل إلى قرية الضبرة بالقرب من بحيرة طبرية ، وذلك لمنع وصول الصليبين إلى الماء[2] ، وكان الصليبيون قد تمركزوا في صفورية[3] لكنَّهم تركوها وساروا إلى ملاقاة صلاح الدين في قرون حطين[4] ، إذ دارت معركة حطين سنة (583هـ/1187م)[5] ، التي نجح من خلال صده المعركة في كسب الصراع مع الصليبيين عندما انتصر عليهم واسر ملوك الصليبيين وقتل أرناط[6] ، وبعد ذلك نجح صلاح الدين في دخول عكا[7] من دول قتال سنة (583هـ/1187م)[8] ، واستطاع أن يدخل عسقلان[9] صلحاً، ومنها سار إلى بيت المقدس وفرض عليها الحصار ودخلها صلحاً في (27رجب/2تشرين الثاني)[10] ، لكن عندما تقدم صلاح الدين نحو مدينة

---

(5) طبرية : بليدة مطلة على البحيرة المعروفة بها ، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص878 .

(6) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص128 ؛ الدجاني ، احمد صدقي ، الطريق إلى حطين والقدس (احياء الذكرى بعد ثمانية قرون) ، دار البشير ، (عمان – 1992م) ، ص63 .

(7) صفورية : كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام قرب طبرية ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص845 .

(8) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص147 ؛ عبد القادر ، معارك فاصلة ، ص219 .

(9) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص28 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص176 ؛ الحياري ، مصطفى ، مدينة القدس في العصر الفاطمي والفرنجة ، مكتبة عمان ، (عمان – 1994م) ، ص73 .

(10) ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص177 .

(1) عكا : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال الأردن من أحسن البلاد وأعمرها ، ينظر : القرماني ، أخبار الدول ، ج3 ، ص422 .

(2) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص53 ؛ المنصوري ، بيبرس (ت725هـ) ، مختار الأخبار ، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ ، الدار المصرية اللبنانية ، (القاهرة – 1993م) ، ص4 .

(3) عسقلان : مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وجبرين يقال لها : عروس الشام ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص94 .

(4) الصديقي ، النزهة الزهية ، ص98–99 ؛ هيكل ، محمد حسين ، الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة ، دار الهلال ، (القاهرة – 1945م) ، ص145 .

صور[1] مُنِيَ بالفشل واضطر إلى التراجع عن المدينة بسبب شجاعة الأمير كونراد (Konrad) الذي أصر على مقاومة صلاح الدين وعدم الاستسلام للقوات الأيوبية رغم انهيار الجبهة الصليبية[2] ، لكن صلاح الدين استطاع أن يدخل الكرك والشوبك في (ربيع الأول584هـ/آيار1188م) وأدى ذلك إلى إنهيار الروح المعنوية للصليبين[3] ، فأضطر أمير أنطاكيا[4] بوهيموند الثالث (Buhimond III) إلى طلب الهدنة من صلاح الدين الذي وافق على طلبه وعقدت الهدنة بينهما لمدة ثمانية أشهر[5] .

ب . الحملة الصليبية الثالثة :

أحدثت هزيمة الصليبيين في حطين ثم سقوط بيت المقدس في يد صلاح الدين رد فعل عنيف في الغرب الأوربي[6] ، واستطاع البابا كليمنت الثالث (Clement III) (583-587هـ/1187-1191م) أن يحشد جيشاً صليبياً للحملة الثالثة[7] ، وكان على رأس هذه القوات الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا (Fredrik Barbrosa)(547-585هـ/1152-1190م) الذي استجاب لدعوة المشاركة في الحملة الصليبية[8] ، وانضم إليه كذلك ملك فرنسا فيليب أغسطس (Augustus Philip)(575-619هـ/1180-1223م) ، وملك انكلترا ريتشارد قلب الأسد (Richard heart of Lion)(585-

---

(5) صور : مدينة من أحصن الحصون التي على شط البحر ، عامرة خصبة ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص174 ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، تصحيح : رينود المدرس والبارون ماك كوكين ديسلان ، الدار السلطانية ، (باريس – 1850م) ، ص242 .

(6) ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص182 ؛ رستون ، جيمس ، مقاتلون في سبيل الله ، صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة ، ترجمة : رضوان السيد ، مطبعة العبيكان ، (الرياض – 2002م) ، ص114 .

(7) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص184 ؛ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج7 ، ص95 .

(8) انطاكيا : مدينة عظيمة موصوفة بالنزاهة بنتها انطاكية بنت الروم بن عيص ، ولها سور عظيم أحاط سهلها وجبلها ، وتسميها الروم مدينة الله تعظيماً لها ، ينظر : القرماني ، أخبار الدول ، ج3 ، ص305 .

(1) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص386 ؛ ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج1 ، ص399 .

(2) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص193 .

(3) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص178 ؛ باركر ، الحروب الصليبية ، ص184 .

(4) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص207.

619هـ/1189-1223م)ولم يكن الاسباب الدينية هي التي حركت عواطف هولاء القادة ودفعتهم الى سماع كلام البابا وأنما كان لكل من هولاء مصالحه الخاصة ولاسيماً الاقتصادية والسياسية [1] ، وكان الإمبراطور الألماني الأسرع في التحرك إلى الشرق براً ، إذ تحرك من ألمانيا في (ربيع الآخرة585هـ/آيار1189م)[2] ، ونجح في اجتياز صعوبات كثيرة ، لكنه غرق في نهر كاليكاونونس سنة (586هـ/1190م) ، وبموت بربروسا تبعثرت القوة الألمانية وأخذت كفة الصراع تميل لمصلحة صلاح الدين[3] ، بينما أبحر ملكا انكلترا وفرنسا إلى الشرق سنة (586هـ/1190م)[4] ، وكان الصليبيون في الشرق ، قد نجحوا بفرض الحصار على عكا في (رجب585هـ/آب1189م)[5] ، وازدادت قوة الصليبيين بوصول ريتشارد وفيليب إلى بلاد الشام ونجحوا في دخول عكا بعد استسلام حاميتها بعد حصار طويل دام لمدة عامين في (17جمادى الآخرة587هـ/12تموز1191م)[6] ، ومن المعارك المهمة التي حدثت بين الجانبين معركة أرسوف[7] في (14شعبان587هـ/17أيلول1191م)[8] ، التي أنتصر فيها ريتشارد ، وكذلك معركة يافا[9] سنة (588هـ/1192م) والذي نجح صلاح الدين في بداية الأمر من الانتصار في المعركة ، لكن ريتشارد قلب الموازين لصالحه بعد قيامه بهجوم مباغت

---

(5) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص317 .

(6) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص178 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص327 .

(7) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص210 ؛ المغلوث ، أطلس ، ص118 .

(8) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص219 ؛ السيد ، الحروب الصليبية ، ص162 .

(1) ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص99 ؛ ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج7 ، ص107 .

(2) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص219 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص258 .

(3) أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج5 ، ص15 ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص239 .

(4) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص285 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص367 ؛ رنسيمان ، ستفين ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، (بيروت – 1997م) ، ج3 ، ص109 .

(5) يافا : بليدة صغيرة الرخاء بقرب عسقلان ساحلية فيها مرسى المراكب ، وهي الآن خراب وبها برج ، ينظر : القرماني ، أخبار البلاد ، ج3 ، ص510 .

على صلاح الدين[1] ، ورغم الانتصارات التي حققها ريتشارد في بلاد الشام ، إلا أنها كانت جزئية ولم تحقق الهدف المنشود وهو استرداد بين المقدس من يد صلاح الدين[2] ، فأضطر إلى الدخول في مفاوضات لعقد الصلح بين الطرفين[3] ، وفي أثناء المفاوضات اقترح ريتشارد فكرة تشكيل مملكة القدس على أن يحكمها الملك العادل وأخته جوانا بعد أن يتزوج العادل من الأميرة جوانا ورحب العادل بهذه الفكرة[4] ، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا كيف وافق العادل على هذه الخطة ، وهل هذا حل سليم ومناسب لتسوية الصراع بين الطرفين؟[5] ، وهل ذهبت جهود الذين ضحوا بحياتهم من أجل مقدسات الأمة لأجل لا شيء؟ ، أم هل كشف ريتشارد قلب الأسد اكتشف أثناء المفاوضات طموح الملك العادل في تولي السلطة؟[6] ، وتبين له أن العادل مستعد لاستغلال أية فرصة ممكنة لأجل تشكيل أو تأسيس دولة باسم (العادل) يورثها لأبنائه من بعده أسوة بأخيه صلاح الدين[7] ، فحاول ريتشارد بهذه الطريقة ضرب صلاح الدين من جهة ووضع الملك العادل في موضع يستطيع من خلاله الملك العادل من منافسة صلاح الدين

---

(6) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص312 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص335 ؛ عوض ، دراسات في الصراع الإسلامي – الصليبي معركة أرسوف (587هـ/1191م) ، ط1 ، مطبعة الهداية ، (الجيزة – 1997م) ، ص27 .

(7) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص381 ؛ بيضون ، إبراهيم ، تاريخ بلاد الشام إشكالية الموقع والدور في العصور الإسلامية ، دار المنتخب العربي ، (بيروت – 1995م) ، ص260 .

(8) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص338 ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص104 .

(1) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص290 ؛ ابن سباط ، صدق الاخبار ، ج1 ، ص200 .

(2) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص291 ؛ مجير الدين الحنبلي ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد المقدسي (ت927هـ/1520م) ، الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، دار الجيل ، (عمان – 1973م) ، ص381 .

(3) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص291 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص292 .

(4) أرسل العادل القاضي بهاء الدين بن شداد ومعه جماعة من الأمراء إلى صلاح الدين ، وقال لهم : تمضون إلى السلطان وتخبرونه عن هذا الشأن وتسألونه أن يحكمني في هذه البلاد ، وأنا أبذل ما في وسع الاجتهاد ، ينظر : عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص291 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص292 .

وتمهيد الطريق لاستعادة بيت المقدس[1] ، وهل أفرزت المفاوضات هذه حقيقة نوايا الملك العادل وكشفت ما كان مخفياً عنه؟ ، إذ ربما حاول التخلص من تأثير أخيه صلاح الدين وشخصيته القوية على مسيرة حياته السياسية[2] ، لأنَّ الأضواءَ كانت مسلطة على صلاح الدين ، وكان العادل يعيش في الظل بسبب وجود أخيه ، ممّا أثر على بريق العادل السياسي الذي اختفى بوجود قوة صلاح الدين الشخصية والسياسية[3] ، فحاول العادل بهذه الطريقة الابتعاد عن تأثير صلاح الدين وتشكيل مملكة خاصة به ، فحاول ريتشارد استغلال هذه الحالة لتغيير كفة الصراع لمصلحته[4] ، والسؤال هنا لماذا وافق العادل على الزواج بامرأة غير مسلمة؟ وهل كان يستطيع أن يؤثر في الأميرة جوانا إن تزوجها؟ أم يحدث العكس ويتبع ملتهم؟[5] ، وهل نُسِيَ قول الله تعالى:﴿ ﴾ ، وهل يمكن أن يكون هذا المقترح من قبل ريتشارد خطة ذكية ماكرة[7] ، هدفها تحقيق ما عجزت عنه الجيوش الصليبية وهو استعادة بيت المقدس عن طريق زواج أخته من الملك العادل في المستقبل القريب ، وبهذا يحقق ريتشارد ما عجز عنه في ساحات الحروب[8] ، وقد نستطيع أن نقول أن الملك العادل قد وقع تحت

---

(5) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص402 ؛ مجير الدين الحنبلي ، الأُنس الجليل ، ص381 ؛ ولز ، هـ.ج ، معالم تاريخ الإنسانية في المسيحية والإسلام والعصور الوسطى وعصر النهضة ، ترجمة : عبد العزيز توفيق ، ط4 ، الهيئة المصرية للكتاب ، (القاهرة – 1994م) ، ج3 ، ص889 .

(6) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص403 ؛ عبد القادر ، معارك فاصلة ، ص226 .

(1) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص291 ؛ مجير الدين الحنبلي ، الأُنس الجليل ، ص382 ؛ الأمين ، حسن ، صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين ، ط1 ، الدار الجديد ، (بيروت – 1995م) ، ص122 .

(2) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص293 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص200 .

(3) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص291 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص293 .

(4) سورة البقرة الآية : 120 .

(5) ابن سباط ، صدق الأخبار ، ص200 ؛ حتي ، فيليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة : جورج حداد وعبد الكريم رامق ، دار الثقافة ، (بيروت – 1950م) ، ج1 ، ص240 .

(6) مجير الدين الحنبلي ، الأُنس الجليل ، ص381 ؛ الجيلاني ، إبراهيم بدوي ، الحملات الحربية في فلسطين ، المكتب العربي للمعارف ، (القاهرة – 1998م) ، ص40 .

تأثير شخصية ريتشارد القوية ، ممّا جعلهُ يقتنع بأفكاره في حل المشكلة (الصراع بين الطرفين)[1] ، لهذا أصبح العادل يميل بكلِّ الوسائل إلى إرضائه مقتنعاً بأنها الطريقة الوحيدة لإنهاء الصراع الإسلامي المسيحي حول بيت المقدس[2] ، لكن هذه الخطة الطموحة كانت فاشلة منذ الولادة لانهم احسوا بعدم نجاح ماكانوا يرمون اليه فدعو بعدم موافقة جوانا الزواج من رجل مسلم ، فذهبت أحلام وأمال ريتشارد في ادراج الرياح[3] ، واستمر ريتشارد في عرض الصلح على الرغم من ذلك بسبب تدهور صحته وحدوث الاضطرابات الداخلية في انكلترا وعدم وصول نجدات عسكرية من أوربا إلى ريتشارد[4] ، وفي نهاية الأمر وافق صلاح الدين على عقد معاهدة للصلح تنهي حالة الحرب بين الطرفين[5] ، فدخل الجانبان في مفاوضات لعدة أيام .

وفي (شعبان 588هـ/أيلول 1192م) تم التوقيع على صلح الرملة[6] ، والذي نص : "على أن يكون للصليبين المنطقة الساحلية من صور شمالاً إلى يافا جنوباً بما فيها قيسارية وحيفا وأرسوف ، وأن يتم تخريب عسقلان ، وأن يتم تقسيم اللد والرملة مناصفة بين الطرفين ، ويحق للنصارى زيارة بيت المقدس بحرية ، وأن تكون مدة المعاهدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر"[7] ، واشترط صلاح الدين دخول بلاد الاسماعيلية في الصلح[8] ، وكان هدف صلاح الدين إبعاد كل محاولة يقوم بها الأعداء لخلق نوع من الصراع بين

---

(7) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص210 ؛ رستون ، مقاتلون في سبيل الله ، ص342.

(8) ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص200 ، عبد القادر ، معارك فاصلة ، ص226 .

(1) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص293 ؛ بوول ، صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس ، ص266 .

(2) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص177 ؛ رنسيمان ، الحروب الصليبية ، مملكة عكا ، ج3 ، ص97 .

(3) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص315 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص204 .

(4) مجير الدين الحنبلي ، الأُنس الجليل ، ص389 ؛ حمادة ، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1982م) ، ص51 .

(5) أبن شداد ، النوادر السلطانية ، ص345 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص218 ؛ أبو الدهب ، اشرف طه ، المعجم الإسلامي ، ط1 ، دار الشروق ، (القاهرة – 2002م) ، ص365 .

(6) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص346 ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص83 .

صلاح الدين والطائفة الاسماعيلية[1] ، بينما اشترط ريتشارد قلب الأسد دخول كل من صاحبي أنطاكيا وطرابلس في الصلح ، وبهذا نجح ريتشارد في وضع الصليبيين في جهة واحدة أمام صلاح الدين ، وحاول بذلك أيضاً إنهاء حالة الصراعات المستمرة بين الصليبيين[2] ، وبعد توقيع الصلح غادر ريتشارد بلاد فلسطين وبرحلته عن الشرق انتهت الحملة الصليبية الثالثة[3] ، والحق أن صلاحَ الدين أتبع سياسة تلائم العصر والظروف التي كان فيها ونجح في النهاية من حسم الصراع مع الصليبيين لمصلحته ، وسهل من مهمة طردهم من بلاد الشام للقادمين من بعده[4] .

---

(7) الطائفة الاسماعلية : نسبة إلى اسماعيل بن جعفر الصادق (ت148هـ) ﷺ الذين قالوا : إن الامام بعد جعفر اسماعيل ، إلا أنهم اختلفوا في موته في حياة ابيه ، فمنهم من قال : لم يمت إلا أنه اظهر موته تقيةً من خلفاء بني العباس ، ومن من قال : الموت صحيح ، ينظر : الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ) ، الملل والنحل ، تحقيق : احمد فهمي محمد ، ط8 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2009م) ، ج2 ، ص170 ؛ بدوي ، مذاهب الاسلاميين ، ص831 .

(1) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص316 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص204 .

(2) مجير الدين الحنبلي ، الأُنس الجليل ، ص382 ؛ مينورسكي ، الأكراد ملاحظات وانطباعات ، ترجمة : معروف خزندار ، مطبعة النجوم ، (بغداد – 1968م) ، ص30 .

(3) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص219 ؛ علي ، علي السيد ، القدس في العصر المملوكي ، دار الفكر للدراسات ، (القاهرة – 1986م) ، ص21 .

الفصل الثاني
الدولة الأيوبية وبداية الانهيار المبكر
المبحث الأول
الدولة الأيوبية والتفكك الكبير

أولاً . وفاة صلاح الدين :

بَقِيَ صلاح الدين في القدس بعد صلح الرملة حتى رحل ريتشارد إلى بلاده ، وبعد أن نظم الشؤون الإدارية لفلسطين[1] ، إذ قام بجولة في بعض المناطق في بلاد الشام ، ونزل في حصن بيروت[2] واجتمع مع بوهيموند الثالث أمير طرابلس لتوقيع صلح نهائي[3] ، ثم سار إلى دمشق ووصلها في (26شوال588هـ/4تشرين الثاني1192م)[4] ، وكان التعب قد أنهك صحة صلاح الدين بسبب كثرة الحروب مع الصليبيين وبدأ المرض يهاجم جسمه بسرعة[5] ، حتى أصيب بحمى صفراوية استمرت اثني عشر يوماً ثم دخل في غيبوبة[6] ، وفي يوم الأربعاء (27صفر 589هـ/4آذار 1193م) توفي في قلعة دمشق ، ودفن فيها وله من العمر سبع وخمسون سنة[7] ، وكان يوم موته مشهوداً ولعل مقولة

---

(1) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص320 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص354 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص408 .

(2) بيروت : مدينة مشهورة تعد من أعمال دمشق بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص240 .

(3) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص354 ؛ ابو شامة ، عيون الروضتين ، ص356 ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص83 .

(4) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص322 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص356 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص409 .

(5) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص358 ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص85 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص112 .

(6) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص356 ؛ ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص212 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص416 .

(1) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص326 ؛ ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص285 ؛ العمري ، ياسين خير الله ، الدر المكنون في المآثر الماضين عبر القرون ، مخطوطة المجمع العلمي العراقي ، تحت تسلسل776 ، ص208 .

عماد الدين الاصبهاني في موت السلطان دلالة على فداحة الخسارة التي أصابت الدولة الأيوبية ، إذ يقول : " بموت السلطان مات رجاء الرجال "[1] .

ثانياً . تقسيم الدولة :

قام صلاح الدين بتقسيم دولته إلى أقاليم يتمتع كل منها بإمكاناته الخاصة وطابعه المميز كمصر والشام وشمالي العراق[2] ، وترك بعد وفاته دولة واسعة الأرجاء ، فتقاسم أبناؤه وأخوته وقادته الذين كانوا دون مستوه سياسياً وعسكرياً في دولته ، فكان ذلك مدعاة لحدوث تغيير جذري في سياسة الدولة الأيوبية[3] ، إذ أخذ الأفضل بن صلاح الدين (589-622هـ/1193-1225م)[4] ، دمشق والساحل وبيت المقدس إلى الداردم[5] ، واحتفظ العزيز بن صلاح الدين(589-595هـ/1193-2298م) بمصر وجنوبي فلسطين[6] ، ونال الظاهر بن صلاح الدين (589-613هـ/1193-1216م) حلب وجميع أعمالها[7] .

أما الملك العادل بن ايوب (589-615هـ/1193-1218م) الأخ الصغر لصلاح الدين فقد أخذ الكرك والأردن والجزيرة ، وهذه المناطق ثانوية متفرقة منحه اياها صلاح

---

(2) الفتح القسي ، ص327 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص181 .

(3) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص329 ؛ ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص321 ؛ الجميلي ، رشيد ، دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي (541-631هـ) ، ط2 ، دار النهضة العربية ، (بيروت – 1975م) ، ص169 .

(4) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص389 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص423 .

(5) ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص224 ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص87 ؛ الحريري ، الأخبار السنية ، ص277 .

(6) الداردم : قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر بينها وبين البحر مقدار فرسخ ، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص508 .

(7) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص328 ؛ أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص209 ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص87 .

(8) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص330 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج2 ، ص22 ؛ قاسم ، الأيوبيون والممّاليك ، عين للدراسات ، مطبعة الهداية ، (القاهرة – 1995م) ، ص48 .

الدين لا تتناسب مع مكانة العادل[1] ، وضمن الظافر خضر بن صلاح الدين بقاء حوران تحت سيطرته[2] ، بينما كانت حصة الأمجد بهرام شاه بعلبك وأعمالها[3] ، وحصل طغتكين على اليمن وجزيرة العرب[4] ، واستمر الملك المنصور محمد بن تقي الدين في حكم حماه[5] وسليمة[6] وقلعة نجم[7] ، واحتفظ المجاهد أسد الدين شيركوه الثاني بحمص والرحبة[8] ، وعلى الرغم من ان صلاح الدين قد قدم أبنه الأفضل لتولي السلطنة من بعده[9] ، إلاَّ أنَّ ذلك الاختيار لم يكن مناسباً ، لأن الأفضل لم يكن يصلح للزعامة لضعفه وسوء سيرته وانشغاله بالملذات ، ممّا أدى إلى ضعف الدولة وزرع بذور الشقاق بين أبناء صلاح الدين[10] .

ثالثاً . التحديات التي واجهت الدولة الأيوبية :

(1) القرماني ، أخبار الدول ، ج2 ، ص258 ؛ ماجد ، دراسات في تاريخ الأيوبيين والممّاليك ، ص94 .
(2) ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص209
(3) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص329 .
(4) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص389 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص209 ؛ فرغلي ، إبراهيم ، الحركة التأريخية في مصر وسوريا خلال القرن السابع الهجري ، ط1 ، دار العربي ، (القاهرة – 2000م) ، ص13 .
(5) ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص87 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص384 .
(6) سليمة : بلدة من أعمال الشام مياهها من قناة ، ولها بساتين كثيرة بناها عبد الله بن صالح وهي على طرف البادية حصينة ، ينظر : القرماني ، أخبار الدول ، ج3 ، ص390 .
(7) قلعة نجم : قلعة حصينة مطلة على الفرات على جبل تحتها ربض عامرة وعندها جسر تعبر عليه القوافل من حران إلى الشام ، وهو المعروف بجسر منبج ، بينها وبين منبج أربعة فراسخ ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج4 ، ص391 .
(8) ابن الوردي ، عمر (ت749هـ/1348م) ، تتمة المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحيدرية ، (النجف الاشرف – 1969م) ، ج2 ، ص108 .
(9) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص383 .
(10) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص234 .

بعد وفاة صلاح الدين انتفض الأمراء والملوك المعاهدين على خلفائه الذين استغلوا الصراع الداخلي على السلطة بين أفراد الأسرة الأيوبية لإستعادة نفوذهم المسلوب وتحالفوا مع بعضهم البعض لتحقيق أهدافهم[1] ، ولعلَّ من أخطر هذه المؤامرات هي :

1 . مؤامرة صاحب خلاط[2] :

نجح ملك خلاط وهو بكتمر **سيف الدين بن عبد الله مملوك شاه أرمن بن سكمان** [3] من الحفاظ على مملكته ضد توسعات صلاح الدين في الجزيرة ، وعرف نواياه بضم خلاط إلى نفوذه لذلك حقد عليه[4] ، وعندما توفي السلطان أظهر الفرح والسرور وأدرك أنه أمام فرصة لتحقيق أحلامه في الجزيرة وضرب الأيوبيين فيها[5] ، ولكي يظهر بمظهر الحاكم القوي ، تلقب بالملك الناصر وهو لقب صلاح الدين ، وقيل : أنه عمل تختاً جلس عليه ولقب نفسه بالسلطان المعظم صلاح الدين ، وسمى نفسه عبد العزيز [6] ، ونجح في تشكيل حلف مع ملوك الجزيرة ضد الدولة الأيوبية ، وأصبح بذلك يهدد الدولة من الشرق ومن الشمال[7] ، لكنَّ هذه المؤامرة انهارت بشكل فعلي بعد مقتل بكتمر سنة (589هـ/1193م) ، ممّا وفر على الدولة الأيوبية الكثير من المتاعب[8] .

---

(1) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص331 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص117 .

(2) خلاط : البلدة العامرة المشهورة ذات الخيرات الكثيرة والثمار اليانعة ، وهي قصبة أرمينية الوسطى ، ولها البحيرة التي ليس لها من الدنيا نظير ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص458 ؛ القرماني ، أخبار الدول ، ج3 ، ص360 .

(3) بكتمر : صاحب خلاط ، قتل سنة (589هـ) على يد رجل تنكر بزي الصوفية ، ينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص120 .

(4) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص202 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص210 .

(5) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص389 ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص111 .

(6) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص331 ؛ أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص226 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص202 .

(7) ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص88 ؛ ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص109 .

(1) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص229 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج6 ، ص487 ؛ رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص151 .

2 . مؤامرة آل زنكي :

حاول أمير الموصل عز الدين مسعود زنكي (576-589هـ/1180-1193م) استغلال الصراع الداخلي بين أبناء صلاح الدين لصالحه لأجل استعادة نفوذ آل زنكي المسلوب[1] ، وقضت مصلحته أن يتحالف مع طرف ضد الطرف الآخر ، وآثار تقسيم الدولة الأيوبية مطامع عز الدين مسعود ، فتصور أنه أمام الفرصة السانحة[2] ، وراسل ملوك الأطراف للتنسيق معهم ضد الأيوبيين فلم يستجب له منهم سوى أخيه عماد الدين زنكي الثاني صاحب سنجار[3] ، ورفض أمراء الأطراف التعاون مع أمير الموصل ضد الأيوبيين ، لأنَّهم أدركوا خطورة استعادة آل زنكي لنفوذهم السابق[4] ، فأضطر عز الدين مسعود إلى الاتفاق مع صاحب سنجار لأجل إحتلال الجزيرة وطرد الأيوبيين من تلك المناطق[5] ، واتفقا على مهاجمة حران[6] والرها اللتينِ تقعان تحت سيطرة العادل أولاً[7] ، لكن عز الدين أصيب بمرض مفاجئ منعه من قيادة الجيش ، فأضطر إلى الرجوع إلى الموصل وترك القيادة لأخيه عماد الدين الثاني[8] ، الذي أدرك صعوبة الانتصار على العادل ، فمالَ إلى عقد صلح ، فأرسل إلى العادل يطلب عقد معاهدة للصلح بين

---

(2) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص332 ؛ أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص226 ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص88 .

(3) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص226 ؛ الجميلي ، دولة الاتابكة ، ص169 .

(4) ابن الاثير ، التأريخ الباهر ، ص185 ؛ ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج3 ، ص182 .

(5) رفض كل من أمير الموصل مظفر الدين كوكبوري وسنجر شاه صاحب الجزيرة الاشتراك معه خوفاً على مصالحهم في المنطقة ، ينظر : ابن الاثير التأريخ الباهر ، ص185 ؛ الجميلي ، دولة الاتابكة ، ص170 ؛ جودة ، مجاهد الدين قامياز ، ص42 .

(6) ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص227 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص384 .

(7) حران : مدينة قديمة في ديار مضر بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص235 .

(1) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص227 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص385 .

(2) عماد الدين الاصبهاني ، الفتح القسي ، ص332 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص120 .

الطرفين ، فتم عقد الصلح بين الجانبين[1] ، وفي هذه المدة توفي عز الدين مسعود في (شعبان589هـ/آب1193م)[2] ، وخلفه نور الدين أرسلان[3] .

المبحث الثاني

الدولة الأيوبية ومعركة الصراع على البقاء

أولاً . صراع السلطة في عهد صلاح الدين (564-589هـ/1169-1193م) :

1 . صراع بين المماليك والأكراد على السلطة :

أفرزت وفاة أسد الدين شيركوه سنة (564هـ/1169م)[4] ، ظهور صراع بين الأتراك والأكراد حول منصب الوزارة ، وكانت الكفة تميل في البداية لصالح الأتراك الذين كانوا

---

(3) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص226 ؛ الذيل على الروضتين ، ص13 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص384 .

(4) ابن الاثير ، التأريخ الباهر ، ص186 ؛ ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج3 ، ص108 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج7 ، ص46 .

(5) ابو شامة ، الذين على الروضتين ، ص70 ؛ ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص128 ؛ جودة ، مجاهد الدين قايماز ، ص42 .

(1) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص160 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص290 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص43 .

بزعامة عين الدولة الياروقي وقطب الدين ينال[1] ، لكن تدخل عيسى الهكاري في الأمر رجح كفة الأكراد على الأتراك ، إذ نجح الهكاري في إقناع الأمراء الأكراد ولاسيما الأمير ابن المشطوب[2] ، وشهاب الدين الحارمي لكي ينضموا إلى جانب صلاح الدين ضد الأمراء الأتراك ، ونجحت محاولات الهكاري في ضمان بقاء السلطة بيد الأكراد[3] ، وأحس الأتراك بمرارة الخسارة فهاجت نفوس أمرائهم وتعصبوا ضد صلاح الدين وامتنعوا أن يكونوا في جيشه وتحت سلطته ، لأنهم أتراك وهو كردي فغادروا إلى بلاد الشام[4] ، وقد أظهر الأمير عين الدولة الياروقي كل مشاعر الكراهية لصلاح الدين بعد خسارته لمعركة الصراع حول السلطة مع الأكراد من خلال مقولته للأمراء الأكراد[5] : " أنا لا أخدم يوسف أبداً "[6] ، وهكذا تولى صلاح الدين الوزارة بمساعدة الهكاري والأمراء الأكراد حتى يضمنوا بقاء السلطة بيد الأكراد ، لكن على الرغم من ذلك استمر الصراع الخفي بين الأتراك والأكراد في صفوف الجيش الأيوبي[7] ، وظهرت آنذاك مقولة : " الأكراد لا يدينون للأتراك ، والأتراك لا يدينون الأكراد "[8] ، وكان هذا سبباً من الأسباب التي دعت صلاح الدين إلى قبول معاهدة الصلح مع الصليبيين لأنها مزقت وحدة الجيش الأيوبي[9] .

---

(2) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص160 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص168 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص15 .

(3) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص17 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص16 ؛ بيومي ، قيام الدولة ، ص149 .

(4) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص161 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص169 .

(5) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص162 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص170 .

(6) ابن الاثير ، التأريخ الباهر ، ص142 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص16 .

(7) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص161 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص170 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص16 .

(1) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص269 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص54 .

(2) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص322 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص54 .

(3) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص323 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج12 ، ص714 ؛ احمد ، جمال رشيد ؛ ظهور الكورد في تاريخ دراسة شاملة عن خليفة الأمة الكوردية ومهدها ، دار ئاراس ، (اربيل – 2003م) ، ج1 ، ص229 .

2 . الصراع بين صلاح الدين وتورانشاه :

في بداية وزارة صلاح الدين لمصر (564هـ/1168م) نشأ صراع بينه وبين أخيه تورانشاه حول منصب الوزارة [1] ، لأنه كان يعد نفسه أحق بالوزارة من صلاح الدين مستنداً الى كبر سنه ، لكن هذا الصراع لم يتطور إلى مرحلة التصادم بين الأخوين[2] ، وذلك بسبب وجود أبيهم نجم الدين أيوب بينهما ، فضلاً عن أن نور الدين محمود حذر تورانشاه عندما أرسله إلى مصر من مغبة الدخول في صراع مع صلاح الدين حول السلطة[3] ، لأنَّ ذلك سوف يخلق لهم مشكلات كثيرة في مصر ، وأنه من الأفضل أن يدعمه للتغلب على الصعوبات التي تظهر في المستقبل القريب[4] ، وهناك احتمال ثانٍ وهو أنه ربما كان أرسال توران شاه هو محاولة من نورالدين محمود في ايجاد ند لصلاح الدين في مصر [5] ، لئلا يستقل بها مما يؤدي بالنتجة لبقاء صلاح الدين و تورانشاه تحت سيطرته ، ويمنع محاولة الاستقلال بحكم مصر من قبل صلاح الدين إذا حاول الأخير الاستقلال بحكم مصر[6] ، ولمَّا استحوذ صلاح الدين على الوزارة في مصر (564هـ/1168م) بعد وفاة عمه شيركوه ، أصبحت الحقيقة واضحة لنور الدين ، إذ تأكد له طموح الأيوبيين في مصر[7] ، وأنهم يعملون لأنفسهم فكان كثيراً ما يقول متحسراً " ملك بني أيوب "[8] ، لكنَّ صلاح الدين كان سريعاً في معالجة طموحات أخيه تورانشاه ،

---

(4) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص245 .

(5) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص45 .

(6) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج6 ، ص375 .

(7) أبو شامة ، عيون الروضتبن ، ج1 ، ص294 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص295 .

(8) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص174 .

(9) ابن الأثير ، الكامل ، ج10 ، ص35 .

(1) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص81 ؛ اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت768هـ/1366م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1997م) ، ج3 ، ص281 .

(2) المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج3 ، ص311 ؛ ماجد ، عبد المنعم ، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية التأريخ السياسي (567–648هـ/1171–1350م) ، ط2 ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – 1997م) ، ص110 .

لهذا فكر بإبعاده عن مصر بطريقة لا تثير الشك لدى أفراد أسرته ، فأرسل أخاهُ إلى بلاد اليمن والنوبة[1] ، ولا يمكن إغفال إن تورانشاه كان يحس بأنه أولى من صلاح الدين لتولي الوزارة وحكم مصر ، لأنه أكبر من أخيه السلطان وهو أحق منه بذلك[2] ، لكن انشغاله بالحروب في اليمن وبلاد النوبة منعته من إظهار نواياه بقوة أمام أخيه السلطان ، لكنَّهُ رَدَّ على ذلك بأنَّ رفض المشاركة في حروب صلاح الدين في بلاد الشام[3] ، وجاءت وفاة تورانشاه (ت576هـ/1180م) فصبت في مصلحة صلاح الدين ، وجنبت الأسرة الأيوبية التمزق والانقسام[4] .

3 . صراع ناصر الدين بن اسد الدين شيركوه من أجل الحق المسلوب :

وفي (شوال 581هـ/1185م) نزل صلاح الدين حران ومرض مرضاً شديداً حتى اشرف على الموت ، وأوصى خوفاً من المشاكل بعد وفاته[5] ، وكان ناصر الدين بن شيركوه حاضراً فسار من عنده ناصر الدين ومرَّ بحلبِ وأخذ خلقاً من الأحداث[6] وأنفق فيهم وقدم حمص ، فراسل الأمراء في دمشق وطلب منهم المساعدة للسيطرة على المدينة في حال إذا توفي السلطان[7] ، لكن صلاح الدين عوفي من مرضه وكان خائفاً على

---

(3) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص88 ؛ الخزرجي ، موفق الدين ابو الحسن علي بن الحسن بن وهاس الزبيدي (ت812هـ/1409م) ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ، ط1 ، مطبعة الهلال ، (مصر – 1983م) ، ص37 .

(4) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص174 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص50 .

(5) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص80 .

(6) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص307 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص157 .

(1) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص119 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص170 .

(2) الاحداث : السفلة من الناس وربما كانت تدل على الفتيان والصبيان ، ثم اطلقت بعد ذلك على السفلة والرعاع ، ينظر : دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ج3 ، ص95 .

(3) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص304 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص48 .

تصرف ناصر الدين الذي كان يتطلع نحو السلطنة[1] ، وربما أنه كان في صراع خفي مع صلاح الدين وأبنائه لأنه كان يتصور أنه الوريث الشرعي الحقيقي بعد أبيه شيركوه المؤسس الحقيقي للدولة الأيوبية[2] ، لأنَّ شيركوه لم يكن لديه أبناء مؤهلين لتولي مسؤولية القيادة بعد وفاته ، لهذا تولى صلاح الدين حكم الأسرة الأيوبية[3] ، فمن حق ناصر الدين بن شيركوه تولي السلطنة بعد صلاح الدين ، وعلى هذا الأساس حاول أخذ السلطنة وحسم الصراع لصالح أبناء شيركوه[4] ، لهذا كان صلاح الدين يهاب ناصر الدين بن شيركوه فضلاً عمّا أمتاز به ناصر الدين من مؤهلات القيادة من الفروسية والشجاعة والشهامة ، فهذه الصفات تثير الخوف لدى صلاح الدين[5] ، لكن ناصر الدين بن شيركوه توفي فجأة في (يوم عرفة581هـ/1185م)[6] ، وأُختلف في سبب موته فيقال : سقي السم ، وقيل : بل قتله الخمر ، وقيل : بل قتله صلاح الدين خوفاً على ملكه، وتملك بعده أبنه شيركوه[7] ، ومهما يكن من حقيقة وفاة ناصر الدين[8] ، فإن ذلك كان في مصلحة الدولة الأيوبية التي نجت من الصراع الدامي بين الفرعين الرئيسيين للأسرة الأيوبية[9] .

4 . تمرد تقي الدين عمر[10] :

---

(4) الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص83 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص90 .

(5) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2 ، ص480 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، ص163 .

(6) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص3 .

(7) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص135 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج12 ، ص320 .

(8) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص304 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص90 .

(9) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص120 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص171 .

(1) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص304 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص49 .

(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2 ، ص480 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص90 .

(3) يقال : أن الذي سقاه السم هو الناصح بن العميد من أهالي دمشق ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص136 ؛ الخوري ، منير عيسى اسعد ، تاريخ حمص من ظهور الإسلام حتى يومنا هذا سنة 1977م ، مطبعة مطرانية حمص الارثوذكسية ، (سوريا – 1984م) ، ج2 ، ص220 .

(4) تقي الدين عمر : الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي ، توفي سنة (586هـ) ، وقيل : سنة (587هـ) ، ينظر : ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج6 ، ص474 .

قام صلاح الدين حين تواجده في الشام سنة (583هـ/1186م) بإرسال أخيه الملك العادل ومعه أبنهُ العزيز إلى مصر ، ونقل تقي الدين عمر وأبنه الأفضل إلى الشام[1] ، وكان هذا محاولة من صلاح الدين للسيطرة على الصراع الذي نشب بين تقي الدين عمر وأبنه الأفضل على مصر ، لأنّهما دخلا في خلافات كثيرة حول من يحكم مصر[2] ، لهذا أرسل تقي الدين عمر إلى صلاح الدين يشكو لديه الأفضل ، فشعر صلاح الدين أن تقي الدين يريد الانفراد بحكم مصر ، وانه يفكر في إبعاد الأفضل عن مصر لاسيما وأن إشارات ظهرت تدل على ذلك أثناء مرض صلاح الدين سنة (581هـ/1185م) من قبل تقي الدين عمر **الذي اعلن لاتباعه احقيته بالسلطنة في اثناء مرض صلاح الدين خاصة بعد وصول الأخبار اليه تفيد بأن صلاح الدين قد أوصى من بعده بسبب تزايد وطأة مرضه عليه** [3] ، لهذا تغير عليه السلطان وقرر إرسال الملك العادل مع أبنه العزيز عثمان إلى مصر ، وأعاد الأفضل وتقي الدين إلى بلاد الشام تفادياً للمشاكل[4] ، لكن تقي الدين عمر رفض ذلك وقرر المسير إلى أفريقيا فأحس صلاح الدين بخطورة الأوضاع في حال مضي تقي الدين في مخططاته[5] ، فأرسل عيسى الهكاري من أجل إعادة تقي الدين إلى بلاد الشام ، ونجح الهكاري في حلّ المشاكل بين الرجلين[6] .

5 . انقلاب طغتكين بن صلاح الدين :

عندما وصل إلى طغتكين **بن صلاح الدين** ملك اليمن خبر وفاة صلاح الدين سنة (589هـ/1193م) حاول استغلال هذه الفرصة لمصلحته[7] ، فكشف عن نواياه الحقيقية ،

---

(5) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص139 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص172 .

(6) ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص90 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص173 .

(7) ، ينظر : ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص122 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج6 ، ص475 .

(8) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص124 ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص90 .

(1) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص130 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص172 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص139 ؛ الجندي ، محمد سليم ، تاريخ معرة النعمان ، تحقيق : عمر رضا كحالة ، ط2 ، مطبعة وزارة الثقافة السورية ، (دمشق – 1994م) ، ص174 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص224 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص58 .

فقال لأتباعه : علينا التجهز لأخذ مصر من العزيز عثمان[1] ، وقد أستقر رأيه على ضرورة السفر لأخذ نصيبه من الدولة ، لأنَّ مصر أفضل من اليمن ، وهذا يعني أنه كان مستعداً لدخول صراع مرير مع أبناء صلاح الدين من أجل السلطة[2] ، ولم يفكر طغتكين في تبعات عمله هذا ، لكن من حسن حظ الأسرة الأيوبية أن أحداً من أمرائه قالَ لهُ : أتريد الذهاب إلى مصر لأخذها وتستقر هناك وتترك بلداً ممزقاً بسبب الفتن والمشاكل؟! ، ويبدو أن طغتكين لم يكن يمتلك الوسائل الضرورية لتحقيق اهدافه, لذا اكتفى بالتفكير في ذلك , واحتج طغتكين بخطورة الأوضاع في اليمن ، فأنصرف عن فكرة أخذ مصر من العزيز عثمان[3] ، ويبدو أن طغتكين كان دائماً يحاول أو يفكر في توسيع نفوذه إلى مناطق أخرى أكثر تأثيراً في قرارات الدولة[4] ، ويدخل في ذلك محاولة طغتكين السيطرة على المقدسات الإسلامية (مكة المكرمة والمدينة المنورة) محاولة منه لإضفاء الشرعية على حكمه ، وربما كان يحاول الاستقلال عن نفوذ صلاح الدين من خلال سيطرته على هذه المناطق الدينية[5] ، لكن الخلافة العباسية أدركت خطورة أعمال ملك اليمن فتدخلت لدى صلاح الدين الذي أمر طغتكين بالتراجع عن ضم تلك المناطق الدينية إلى نفوذه ، ولهذا كانت وفاة صلاح الدين فرصة مناسبة لطغتكين لتحقيق أهدافه[6] ، وحقيقة الأمر أن الصراع في عهد صلاح الدين كان مؤثراً في قرارات صلاح الدين لأنَّها منعته من حسم الصراع مع الصليبيين لصالح المسلمين ، كما أن هذا كان عاملاً من العوامل المساعدة لبقاء الصليبيين في بلاد الشام[7] ، ولعل مقولة صلاح الدين لابن شداد توضح ذلك عندما قال : " أخاف أن أصالح وما أدري أيش يكون مني فيقوى

---

(4) العزيز عثمان : هو عثمان بن يوسف صلاح الدين بن نجم الدين بن شادي ولد سنة (567هـ) بمصر ، وتولى السلطنة بعد حروب مع اخيه الافضل ، وتوفي سنة (595هـ) بعد سقوطه اثناء رحلة صيد في الفيوم ، وتولى الملك بعده ابنه الملك المنصور ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1 ، ص262 .

(5) اليافعي ، مرآة الجنان ، ج3 ، ص359 .

(6) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص387 .

(7) المصدر نفسه ، ج5 ، ص387 .

(1) وربما تأثر أبنه المعز بمخططات والده طغتكين فلهذا قام بالتنصل من أصله الكردي لأجل تحقيق مشاريع أبيه في الاستقلال بالجزيرة ، ينظر : أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص250 .

(2) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص383 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص55 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص383.

هذا العدو ، وقد بقيت لهم البلاد فيخرجون لاستعادة ما في أيدي المسلمين ، وترى كل واحد من هؤلاء يعني أخاه وأولادهم قد قعد في قلعته ، ويقول : لا أنزل ويهلك المسلمون "[1] ، وكان تعليق ابن شداد على ذلك : " فكان والله كما قال : اختلفوا واشتغل كل واحد بناحية وبعد فكان الصلح مصلحة "[2] .

ثانياً . صراع السلطة بعد وفاة صلاح الدين :

1 . صراع السلطة في عهد الأفضل علي (589-592هـ/1193-1196م) :

دخلت الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين في نفق مظلم ، وتمثل ذلك بظهور الصراعات حول السلطة بين أبنائه وأخوته[3] ، ولم يكن اختيار الأفضل لتولي السلطنة ناجحاً لإدارة الدولة من جهة[4] ، ولكبح جماح طموح أخوته لتولي الحكم من جهة ثانية ، الذين أخذوا يدبرون المؤامرات ضد إخوانهم[5] ، وزادت أوضاع الدولة تدهوراً بعد إسناد الوزارة إلى ضياء الدين ابن الأثير[6] ، الذي حرض الأفضل على اتخاذ إجراءات تخالف إجراءات أبيه في الحكم ، فقام بطرد الأمراء الكبار من دولته وعين بدلاً منهم أعوانه ومماليكه[7] ، فكان على الأمراء إيجاد مكان أخر يعرضون فيها خدماتهم ، فوجدوا

---

(4) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص235 .

(5) المصدر نفسه ، ص235 .

(6) ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص213 ؛ سليمان ، احمد عبد الكريم ، العنصرية وأثرها في الجيش المملوكي ، ط1 ، دار النهضة العربية ، (القاهرة – 1988م) ، ص3 .

(7) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص63 ؛ الشرقاوي ، عبد الله بن حجازي ، تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين ، تحقيق : رحاب عبد الحميد الغازي ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة – 1996م) ، ص92 .

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص66 ؛ غنيم ، أسمت ، الدولة الأيوبية والصليبيون ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية – 1990م) ، ص89 .

(2) ضياء الدين : أبو الفتح نصر الله بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الملقب ضياء الدين ، وله كتب عدة منها (الوشي المرقوم) ، توفي سنة (637هـ) ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص389-396 .

(3) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص229 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص115 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص236 .

ضالتهم في العزيز عثمان صاحب مصر[1] ، الذي كان طموحاً يرغب في السلطة والنفوذ ، فقام الأمراء الناقمين بتحريضه على الأفضل[2] ، وفي الجهة المقابلة راح ضياء الدين ابن الأثير يعمل بكل جهد لأجل تثبيت أقدامه في الدولة ، فقام بإبعاد المستشارين الذين كانوا يعملون مع صلاح الدين ، وعين بدلاً منهم أعوانه وأقاربه[3] ، ولم يكتفِ بذلك بل أخذ يعمل على زرع الشقاق بين الأفضل صاحب دمشق وأخيه العزيز صاحب مصر[4] ، لأنه إذا تولى العزيز السلطنة فسوف يبعده عن الوزارة وينقل مقر الدولة إلى القاهرة ، لهذا بذل كل ما في وسعه لأجل إبعاد العزيز عثمان عن الأفضل وتعكير العلاقة بين الأخوين[5] ، ولم يدرك الأفضل نتائج أعمال وزيره ، بل أنه رحب بها وزاد من ذلك أنه فوض إلى ابن الأثير إدارة الدولة[6] ، وأنشغل هو باللهو والملذات وسماع الأغاني ، ممّا أدى إلى تدهور أحوال الدولة من كافة النواحي[7] ، وظلَّت حالة الجفاء بين الأخوين مستمرة ، وأصبح من غير الممكن إبقاء الصراع بين الأخوين في الخفاء ، وكان لابد لها أن تتطور إلى مرحلة حسم الصراع بالقوة لتحديد الفائز والخاسر في هذه المدة الحرجة[8] ، فقرر العزيز عثمان صاحب مصر الخروج بجيشه لأجل التفرد

---

(4) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج7 ، ص134 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص384 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص236 .

(5) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص109 ، قاسم عبدة ، الأيوبيون والممّاليك ، ص86 .

(6) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص115 ؛ رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص152 .

(7) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص236 ؛ غنيم ، الدولة الأيوبية ، ص59 ؛ عمران ، محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية (1095-1291م) ، دار المعرفة الجامعية ، (القاهرة – 2000م) ، ص186 .

(6) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ص230 ؛ سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت654هـ/1256م) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط1 ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، (الهند – 1952م) ، ج2 ، ص441 .

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص115 ؛ العمري ، الدر المكنون ، ص209-210 ؛ قاسم عبدة ، الأيوبيون والممّاليك ، ص86 .

(2) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص236 ؛ قاسم ، قاسم عبدة ، ماهية الحروب الصليبية (الأيديولوجية ، الدوافع والنتائج) ، عين للدراسات ، (القاهرة – 1993م) ، ص150 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص64 .

بالسلطة[1] ، وإنهاء سيطرة الأفضل على دمشق وغيرها من المدن التابعة إلى نفوذه ، فسار بقواته إلى دمشق وذلك سنة (590هـ/1194م)[2] ، ولم يكن بمقدور الأفضل مواجهة العزيز لذلك طلب مساعدة عمه العادل وأخوته الذين كانوا يريدون المحافظة على أملاكهم في الوقت الراهن وتوسيعها في المستقبل القريب ، واتفقت مصالحهم الشخصية على حساب مصالح الأمة[3] ، لهذا اتفقوا على ضرورة منع العزيز من أخذ دمشق من الأفضل ، خوفاً من حسم الصراع لصالحه ، بل أنهم أرادوا إبقاء الصراع مستمراً لأطول مدة ممكنة[4] ، وبذلك يحرمون صاحب مصر من توسيع نفوذه وفرض سلطته عليهم ، ومن جهة أخرى يمهدون الطريق لأنفسهم لتولي السلطنة ، فأنضموا إلى جانب الأفضل ضد العزيز الذي أدرك بأنه لا يستطيع مواجهة هذا التحالف المعادي له[5] ، فأضطر إلى قبول توسط عَمهُ العادل في عقد صلح ، وتم ذلك ونصت على تنازل الأفضل عن القدس للعزيز صاحب مصر[6] ، فرجع العزيز إلى مصر بعد ذلك ، أما الأفضل فأنه عاد إلى سابق عهده في ثقته العمياء بوزيره الذي أصبح السيد الأول في الدولة الأيوبية[7] ، بسبب ابتعاد الأفضل عن إدارة الدولة والتفرغ كلياً لإشباع شهواته ، ممّا

---

(4) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص229 ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج3 ، ص130 ؛ ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص11 .

(5) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص234 ؛ أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص6 ؛ زكار ، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دار الفكر ، (دمشق – 1995م) ، ج11 ، ص389 .

(6) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص90 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص385 ؛ الحريري ، الإخبار السنية ، ص278 .

(7) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص229 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص385 ؛ عمران ، الحروب الصليبية ، ص186 .

(1) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج2 ، ص234 ؛ الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص104 ؛ الحريري ، الأخبار السنية ، ص278 .

(2) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج3 ، ص131 ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص90 ؛ ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص230 .

(3) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص91 ؛ غنيم ، الدولة الأيوبية ، ص59 .

أدى إلى تمادي وزيره ابن الأثير وإتباعه إلى اتخاذ قرارات تخدم مصالحهم في الدولة[1] ، فقام ابن الأثير بإبعاد بعض الأمراء عن مناصبهم وعين بدلاً عنهم أعوانه وخواصه لان السلطان كان يقف وراءه ويسانده في كل قراراته ، وبهذا نجح في عزل الأفضل عن الأمراء وعن عامة العامة[2] ، ممّا جلب على الأفضل الكراهية من قبل الشعب ، واضطر عدد كبير من الأمراء إلى ترك دمشق بعد أن خسروا مكانتهم فانضموا إلى العزيز عثمان[3] ، وفي المقابل انضم بعض الأمراء إلى جانب الأفضل وتركوا صاحب مصر ، لأن العزيز قد قرب أمراء الصلاحية فأخذت العلاقات بين الأخوين تسير نحو التدهور[4] ، ويظهر من خلال سير الأحداث أن الأفضل يتحمل الجزء الأكبر من تطور الصراع إلى هذه المرحلة الخطيرة[5] ، لأنه لم يعمل على تسوية الخلافات مع أخيه العزيز ، بل أنه زاد من حدتها عندما أستمع إلى نصائح وزيره الذي نصحه بعدم المصالحة مع العزيز[6] ، وإنَّما طلب منه الوقوف بوجهه عن طريق إيجاد حلفاء للأفضل ، فتحالف مع الملك العادل وكذلك مع الملك الظاهر غازي لمواجهة العزيز[7] ، ومن هنا بدأ الملك العادل يعمل على تمهيد الطريق له ليتولي السلطنة[8] ، فكان عليه أن يعمل على تزايد حدة الصراع بين الأخوين ، ولأجل إنجاح هذه الخطة انضم إلى جانب الأفضل[9] ، وجاءت الفرصة المناسبة للعادل لتحقيق أهدافه ، إذ خرج صاحب مصر

---

(4) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج7 ، ص124 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص111 ؛ حمدي ، دراسات في تاريخ الأيوبيين ، ص96 .

(5) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص230 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص109 ؛ رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص152 .

(6) من أبرز هؤلاء الأمراء : الأمير عز الدين ، والأمير ابن سالار ، وكذلك الفقيه محي الدين بن أبي عصرون ، ينظر : المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص111 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص236 .

(7) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج7 ، ص125 .

(8) ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص217 .

(1) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج7 ، ص125 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص124 .

(2) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص231 .

(3) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص124 ؛ زكار ، سهيل ، أمينة بيطار ، تاريخ الدولة العربية في الشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد ، ط3 ، مطبعة الجامعة ، (دمشق – 1999م) ، ص245 .

(4) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص232 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص110 .

العزيز سنة (591هـ/1195م) من مصر متوجهاً نحو دمشق[1] ، لأخذها من الأفضل الذي أساء السيرة ، ولأنَّ الأفضلَ كان ضعيفاً وليس بمقدوره مواجهة العزيز فقد أضطر إلى طلب المساعدة من عَمهِ العادل[2] ، ونجح الأخير بفضل دهائه السياسي في أن يمزق وحدة الصف في جيش العزيز ، إذ استغل سوء العلاقة بين العزيز وبين المماليك الاسدية[3] ، فأرسل العادل رسائل إلى الطرفين ، نجحت هذه الرسائل في تعكير الأجواء في الجيش المصري وزرعت بذور الشقاق والانقسام بين العزيز وممّاليك الاسدية[4] ، وأنعدمت الثقة بين الطرفين وصار الأمراء يخشون على أنفسهم من العزيز ، وحصل الشيء نفسه لدى العزيز ، فقرر ممّاليك الاسدية ترك العزيز والانضمام إلى جانب العادل وبقي العزيز مع مجموعة قليلة من الجيش فأضطر إلى الرجوع إلى مصر[5] ، وحاول العادل استغلال هذه الفرصة السانحة فأتفق مع الأفضل على ضرورة السير إلى مصر لأخذها من العزيز[6] ، والحقيقة أنَّ العادلَ عمل على تشجيع الصراعات بين الأفضل والعزيز لكي يمهد الطريق لنفسه[7] ، لهذا غير من خططه عندما زحف العادل مع الأفضل نحو مصر ، فأرسل سراً إلى العزيز يشجعه على الثبات في مصر ، ويتعهد

---

(5) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص91 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص385 ؛ زكار ، الموسوعة الشاملة ، ج11 ، ص391 .

(6) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص239 ؛ أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص7 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج3 ، ص28 .

(7) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص231 ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج3 ، ص133 .

(8) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص231 ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص91 ؛ ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص111 .

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج3 ، ص48 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص125 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص241 .

(2) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص240 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج2 ، ص441 .

(3) بروكلمان ، الشعوب الإسلامية ، ص361 ؛ البرغوثي ، عمر صالح ، خليل طوطح ، تاريخ فلسطين ، مكتبة الثقافة الدينية ، (بور سعيد – ب ت) ، ص183 .

بمنع الأفضل من دخول مصر[1] ، ولهذا عندما وصل إلى منطقة بلبيس[2] رفض العادل الدخول في معركة مع الجيش المصري[3] ، وأصر على عدم مهاجمة مصر ، وكان عذره أن ذلك سوف يمزق الدولة ويعرضها للأخطار[4] ، ويبدو أنَّ العادلَ أدرك أنه عن طريق الأفضل لا يستطيع أن يحقق ما يريد وهو الوصول إلى السلطة ، بل أنه عن طريق العزيز سوف يحقق أهدافه ولأجل إنجاح خطته ، أوعز إلى شخصية تحظى بأحترام الجميع في الدولة ، وهو القاضي الفاضل وطلب منه التدخل لوضع حد للصراع الدائر بين الأخوين حول السلطة ، ونجح القاضي في عقد صلح بين الأخوين[5] ، وقد نصت المعاهدة على الآتي :

1. يمنح الأفضل بيت المقدس وطبرية والأردن فضلاً عن ممتلكاته السابقة[6] .
2. أن يستقر العادل في مصر لمساعدة العزيز عثمان[7] .

وهكذا تمكن العادل أن يضع خطوة مهمة للاستيلاء على السلطة لاسيما وأن الوضع السياسي في مصر لم يكن لصالح العزيز بسبب سوء علاقة الأخير مع الأمراء وممّاليك الاسدية الذين انضموا إلى جانب العادل ضد العزيز[8] ، وهكذا نجح العادل في إضعاف

---

(4) ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص91 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص112 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص241 .

(5) بلبيس : مدينة تقع إلى الشمال الشرقي من مصر على طريق الشام بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ ، ينظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج1 ، ص279 ؛ القرماني ، أخبار الدول ، ج3 ، ص322 .

(6) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص231 ؛ زكار ، الموسوعة الشاملة ، ج11 ، ص391 .

(7) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص240 ؛ زكار ، تاريخ الدولة العربية ، ص246 .

(8) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص231 ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، 91 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص128 .

(1) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص241 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص128 ؛ عاشور ، الأمويون والممّاليك ، ص76 .

(2) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص232 ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، 91 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص241 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص242 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص113 .

العزيز في مصر والأفضل في دمشق وفق خطة ذكية[1] ، لم يدركها أبناء صلاح الدين بسبب قصور فهمهم لأصول السياسة ، وأستقر العادل في مصر وأصبح سيد الأسرة الأيوبية ، ونجح في فرض كلمته على الأخوين حسب مصلحته[2] ، واقتنع العادل بأن بقاء الأفضل يضر بمصالحه بسبب عدم أهليته لتولي الحكم ، لأنه ترك الدولة بيد وزيره ابن الأثير الذي آثار الأمراء والناس في دمشق فضجوا من سوء إدارته[3] ، فقامَ العادلُ وتحالف مع العزيز لأجل عزل الأفضل عن السلطنة وأخذ دمشق منه ، فخرجا من مصر في (رجب592هـ/حزيران1196م) نحو دمشق[4] ، وضربا حصاراً على المدينة[5] ، وحاول الأفضل التصدي للقوات المصرية ، لكنَّهُ فشل في ذلك بسبب خلافات وزيره مع الأمراء في دمشق[6] ، وحاول العادل استغلال هذا الجانب لصالحه ، فأرسل إلى الأمراء لكي ينضموا إلى جانبهِ ، واستطاع أن يضم إليه أحد الأمراء الكبار وهو الأمير الحمصي[7] المكلّفُ بحراسة الباب الشرقي لمدينة دمشق ، ففتح لهما الباب في (27رجب592هـ/25حزيران1196م) ودخل العادل والعزيز دمشق بقواتهما[8] ، واجبر

---

(4) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج2 ، ص233 ؛ شريك ، موريس ، التأريخ ، ط1 ، مطبعة جروس برس ، (بيروت – 1994م) ، ص30 .

(5) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص241 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص129 ؛ عاشور ، الأمويون والممّاليك ، ص76 .

(6) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، 92 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص113 ؛ غنيم ، الدولة الأيوبية ، ص80 .

(7) الذهبي ، دول الإسلام ، ج2 ، ص100 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص386 ؛ زكار ، الموسوعة الشاملة ، ج11 ، ص392 .

(8) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص243 ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، ج2 ، ص100 .

(1) الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص104 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص134 ؛ الخوري ، تاريخ حمص ، ص223 .

(2) الحمصي ، العزيز بن أبي غالب الحمصي ، كان أميراً من أمراء الأفضل ، وكان الأفضل كثير الاحسان إليه والاعتماد عليه والوثوق به ، فمال إلى جانب العادل ، ينظر : الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص242 .

(3) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص92 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص386 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص114 .

الأفضل على التنازل عن السلطنة للعزيز عثمان وترك دمشق والذهاب إلى قلعة صرخد حيث أنعزل فيها[1] ، ولم يسمح العادل بأن يخرج من هذا الانتصار بدون مكسب سياسي ، فنجح في إقناع العزيز بأن يجعله على دمشق نائباً عنه مقابل شرطين :

1. حصول العزيز على لقب سلطان بني أيوب[2] .
2. أن يستمر حكمه في مصر ويذكر أسمه بالخطبة وينقش على السكة في بلاد الشام ، والحقيقة أن حسم الصراع لصالح العزيز كان في مصلحة العادل[3] .

وأصبح العادل على قناعة تامة بأنه على بُعد خطوة واحدة عن السلطنة ، لهذا لم يعمل على إثارة المشاكل مع العزيز ، بل أنه كان تابعاً له ولو أنها كانت تبعية أسمية[4] ، وكان ينتظر الفرصة المناسبة لتحقيق أهدافه ، وظلَّ الهدوء يسود الدولة الأيوبية لمدة سنتين وهي مدة حكم العزيز حتى وفاته[5] ، فأضطربت أحوال الدولة من جديد[6] .

2 . صراع السلطة في عهد العادل (596-615هـ/1201-1218م) :

دخلت الدولة الأيوبية في مفترق طرق بعد وفاة العزيز عثمان في (20محرم595هـ/تشرين الثاني1198م) ، إذ اضطربت أحوالها السياسية من جديد[7] ، ولاسيما في مصر التي حدث فيها اختلال للأمن وفساد واسع ، وساءت حالتها

---

(4) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص92 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج2 ، ص22 .

(5) المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص61 ؛ الرومي ، ابي الحسن علي بن أبي عبد الله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن (توفى في القرن السابع الهجري) ، بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة – ب ت) ، ص169 .

(6) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص114 ؛ عاشور ، الأيوبيون والممّاليك ، ص78 .

(7) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر، ج7 ، ص130 ؛ رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص153.

(1) توفي العزيز عثمان بعد أن سقط في أثناء رحلة للصيد في الفيوم ، فعاد الة القاهرة وهو مريض ، وتوفي بعد ذلك ، ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص225 ؛ ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص16 .

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص144 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج6 ، ص522 ، الجميلي ، دولة الاتابكة ، ص174 .

(3) ابو الفداء المختصر ، ج3 ، ص95 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص388 ؛ الزبيدي ، المرتضى (ت1205هـ/1790م) ، ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مجمع اللغة العربية ، (دمشق – 1969م) ، ص90 .

الاقتصادية ، لأنَّ العزيز عثمان ترك أبناً قاصراً وهو ناصر الدين محمد[1] ، الذي أتفق الأمراء على تنصيبه ملكاً على مصر خلفاً لوالده ولقبوه بـ(الملك المنصور)[2] ، لكن مصر كانت بحاجة إلى أميرٍ قوي ليحكمها ، فأختلف الأمراء على من يتولى الوصاية على الملك المنصور[3] ، وأنقسموا إلى طائفتين الأولى : هم أمراء الناصرية وكانوا بزعامة الأمير جهاركس[4] .

الذين أرادوا تولية العادل الوصاية[5] ، والثانية : أمراء الاسدية وكانوا بزعامة سيف الدين أزكش[6] الذي أراد تولية الأفضل الوصاية ، لأنَّهم كانوا يخشون سطوة العادل ، فأرسلوا إلى الأفضل لكي يأتي إلى مصر ويتولى الوصاية لإدارة حكم مصر[7] ، وكانت هذه الفرصة المناسبة التي ينتظرها الأفضل لكي يعود إلى واجهة الأحداث ، فأسرع إلى مصر ودخلها في شهر (ربيع الأول595هـ/كانون الثاني1199م)[8] ، وتسلم مقاليد الحكم وتولى الوصاية على ابن أخيه شرط عدم ذكر أسمه في الخطبة ولا ينقش على السكة ،

---

(4) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص255 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج2 ، ص22 ؛ زكي ، عبد الرحمن ، قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية معاصرة ، مطبعة نهضة مصر ، (القاهرة – 1960م) ، ص170 .

(5) المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص563 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص131 ؛ العمري ، الدر المكنون ، ص212 .

(6) ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص95 ؛ الزبيدي ، ترويح القلوب ، ص90 .

(7) جهاركس : لفظ ومعناه بالعربية أربعة أنفس : فخر الدين أبار بن عبد الله ابو نصر أبو الغارات الجركسي الناصري الصلاحي ، كان من أكبر أمراء الدولة الصلاحية ، توفي سنة (608هـ) ودفن في حلب في جبل الصلاحية ، ينظر : ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص79 ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1 ، ص381 .

(1) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص255 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج2 ، ص459 .

(2) أزكش : هو الأمير سيف الدين أزكش ، وقيل : ابازكوج وهو من ممّاليك أسد الدين شيركوه ، توفي سنة (599هـ) ، ينظر : ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص34 .

(3) ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص113 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص259 .

(4) ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص95 ؛ العريني ، الشرق الأدنى ، ص116 ؛ عاشور ، الأيوبيون والممّاليك ، ص80 .

وتكون مدة الوصاية سبع سنوات[1] ، وكان تولي الأفضل الوصاية يعني انتصار أمراء الاسدية على أمراء الناصرية ، فهرب كبير أمراء الناصرية وهو الأمير جهاركس من مصر إلى بلاد الشام[2] ، وسار إلى مقابلة العادل الذي كان يحاصر ماردين[3] آنذاك ، وعرض عليه وقائع ما حدث ، فوقع العادل في حيرة من أمره ، فأهمية ماردين تفرض عليه ضمها إلى نفوذه[4] ، ومن جهة ثانية فأن استقرار الأفضل في مصر يهدد بتغيير الأحداث لمصلحة ابن أخيه ، ويدمر كل ما بناه العادل ، فقرر على الفور التخلي عن حصار ماردين والإسراع في الوصول إلى مدينة دمشق وترك على حصار المدينة أبنه الكامل محمد[5] ، واعتمد العادل على عامل السرعة لتغيير الموقف لصالحه ، وهذا يدلُّ على قوة شخصية العادل الذي نجح في رسمِ الخطوط العريضة له للوصول إلى السلطة[6] ، ولأنَّ الدولة الأيوبية أصبحت تتسم بالمؤامرات بين أفرادها ، فقد سارع الملك الظاهر غازي صاحب حلب إلى إقامة تحالف مع أخيه الأفضل للقضاء على الملك العادل[7] ، وانضم إليهما صاحب حمص أسد الدين شيركوه الثاني ، وحاول الأفضل استغلال هذه الفرصة لإعادة سيطرته على مدينة دمشق[8] ، فخرج بقواته من القاهرة في (جمادى الآخرة595هـ/آذار1199م) لكنَّه كان بطيئاً في زحفه ، ممّا سمح للعادل

---

(5) المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص563 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص132 .

(6) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص256 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص389 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص259 .

(7) ماردين : وهو حصن حصين منيع بني على قمة جبل شاهق ويشرف على الجبال الواقعة فيها ، وسميت بهذه التسمية نسبة إلى أحد ملوك الفرس ، وكان يسمى ماردين ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص202 ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج7 ، ص194 .

(8) ابو الفداء المختصر ، ج3 ، ص95 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص389 .

(1) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص256 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص133 .

(2) ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص95 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص148 ؛ العيني ، الشرق الأدنى ، ص116 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص257 ؛ العمري ، الدر المكنون ، ص212 .

(4) ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص184 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص132 ؛ الشامي ، صلاح الدين ، ص173 .

بالوصول إلى دمشق قبل الأفضل[1] ، إذ وصل العادل إلى المدينة في (11شعبان/8حزيران)[2] ، بينما وصل الأفضل في (13شعبان/10حزيران) ونجح في فرض حصار على المدينة لكنَّه فشل في دخولها[3] ، ثم وصل الظاهر غازي إلى دمشق بعد أسبوع من ذلك ، وكذلك وصلت القوات المتحالفة معهم ضد العادل[4] ، واستمر الحصار لمدة ستة أشهر وتضايق أهل المدينة كثيراً لقلة الأقوات وارتفاع الأسعار داخل المدينة[5] ، لكن العادل لم يقف مكتوف الأيدي بل استخدم الدهاء والمكر لتمزيق وحدة الصف في جيوش أبناء أخيه ، فأرسل إلى أمراء الناصرية ونجح في ضمهم إلى جانبهِ ، الذين ساروا ودخلوا إلى دمشق رغم محاولات الأخوين لمنعهم من ذلك [6] ، ثم عمد العادل إلى إفساد العلاقة بين الأخوين ونجح في ذلك[7] ، وساهم حلول فصل الشتاء في ازدياد الوضع تعقيداً لدى الأخوين فقرروا الانسحاب وترك حصار دمشق والعودة إلى مناطقهم[8] ، وعندما علم العادل بذلك أدرك أنه أمام فرصة ذهبية للقضاء على أبناء أخيه نهائياً ، وتحطيم أي أمل لهم في تولي السلطنة ، فقرر مطاردة الأفضل إلى مصر وانتزاع هذا البلد منه ، فنظم حملة مطاردة وسار بقواته إلى مصر ومعه أمراء

---

(5) الجميلي ، دولة الاتابكة ، ص175 .

(6) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص120 ؛ السلفياني ، الملك المعظم عيسى ، ص46 .

(7) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص133 ؛ الشامي ، صلاح الدين ، ص174 .

(8) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص389 ؛ رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص153 .

(9) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص149 ؛ الغزي ، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحيالي الحنبلي (1351هـ/1932م) ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، المطبعة المارونية ، (حلب – بلات) ، ج3 ، ص107 .

(1) لأن الأفضل قام بسجن أمراء أبيه (الناصرية) في مصر ، مثل شقيرة وأيبك وفطيس والبكي فارس وكل هؤلاء بطل مشهور ومقدم مذكور ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص256 .

(2) كان للظاهر غازي مملوك يحبه اسمه أيبك ، لكنه اختفى فجاءة ، وعرف العادل بذلك ، فأرسل إلى الظاهر يخبره بأن الأفضل يخطط لأخذ مملوكه ، فجن جنون الظاهر غازي وساءت علاقته مع أخيه ، ينظر : أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص97 ؛ عاشور ، الأيوبيون والممّاليك ، ص80 .

(3) الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص113 ؛ العمري ، الدر المكنون ، ص212 .

الناصرية[1] ، أما الأفضل فأنه لم يخطر بباله فكرة مطاردة العادل له إلى مصر ، لهذا سمح لجنوده بالتفرق ، وسار مع أتباعه إلى مقر إقامته[2] ، وعندما علم بقدوم العادل إلى مصر حاول إعادة جمع قواته لكنَّه فشل في ذلك لضيق الوقت ، فأضطر إلى مقاتلة جيش العادل بقوات قليلة ، واصطدم الجيشان الأيوبيان بالقرب من بلبيس في (7ربيع الآخرى596هـ/26كانون الثاني1200م)[3] ، فحلَّت الهزيمة بجيش الأفضل وانسحب إلى القاهرة ، فلحق به العادل ودخل المدينة واستسلم الأفضل للعادل الذي استولى على مقاليد الأمور[4] ، وأضطر الأفضل إلى التنازل عن الوصاية على الملك المنصور مقابل إعطائه بعض المدن منها ميافارقين فضلاً عن صرخد ، إذ أقام هناك بعيداً عن الأضواء[5] ، وأصبح العادل وصياً على الملك المنصور واتابكاً له حتى يبلغ سن الرشد[6] ، ولمَّا ثبتت أقدامه في مصر قطع الخطبة عن الملك المنصور في (11شوال596هـ/25تموز 1201م) وخطب لنفسه واستبد بالحكم[7] ، واخرج الملك المنصور من مصر إلى الشام وأصبح العادل سلطاناً للدولة الأيوبية[8] ، وهكذا بدأ عهد جديد في تاريخ الدولة ، لكنَّهُ لم ينهي الصراع بين أفراد الأسرة الأيوبية ، ولعل أخطر ما واجهت العادل في هذه المدة هو خروج الأفضل والظاهر غازي على العادل بتحريض

---

(4) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج3 ، ص108 ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص97 ؛ الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص114 .

(5) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج2 ، ص470 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص150 .

(6) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص390 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص135 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص208 .

(7) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص97 ؛ الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص114 ؛ الغزي ، نهر الذهب ، ج3 ، ص108 .

(1) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص391 ؛ العمري ، الدر المكنون ، ص213 .

(2) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص266 ؛ العريني ، الشرق الأدنى ص117 .

(3) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص136 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج2 ، ص22 ؛ ابن الوكيل ، يوسف الملواني (ت1131هـ/1718م) ، تحفة الاحباب بمن ملك مضر من الملوك والنواب ، تحقيق : محمد الشناوي ، ط1 ، دار الآفاق العربية ، (القاهرة – 1999م) ، ص58 .

(4) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص98 ؛ المنصوري ، مختار الأخبار ، ص5 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص146 .

أمراء الناصرية في دمشق[1] ، الذين فقدوا نفوذهم بسبب قوة شخصية العادل ، لهذا حاولوا التخلص من العادل عن طريق إرسال رسائل إلى الأفضل والظاهر لكي يخرجا عن طاعة العادل ، وبهذا يحققون أهدافهم السياسية ويعيدوا نفوذهم إلى الدولة عن طريق خلق صراع جديد في الدولة[2] ، واجتمع الأخوان في مدينة حلب في (10جمادى الآخرة597هـ/16شباط1201م)[3] ، لمناقشة طلب أمراء الناصرية وكيفية تقسيم البلاد بينهما ، وتم الاتفاق على مهاجمة دمشق أولاً لأنَّ العادلَ موجود في مصر ، وليس فيها قوات كبيرة تدافع عنها ، واشترط الأفضل أن يحصل على دمشق في حال انتزاعها من يد العادل [4] ، ثم يسيران معاً إلى مصر ، فإن نجحا في الاستيلاء عليها تصبح من نصيب الأفضل ويتسلم الظاهر دمشق ويبقى الشام له[5] ، وعندما علم العادل بتحركات أبناء أخيه خرج من القاهرة بقواته وعسكر في نابلس[6] ، ومن هناك أرسل قوة عسكرية لنجدة أبنه المعظم عيسى في دمشق[7] ، وقد وصلت هذه القوة إلى المدينة قبل مجيء الأفضل والظاهر إلى دمشق ، وكان ذلك سبباً في تحول كفة الصراع لصالح العادل[8] ، وفي الطريق إلى دمشق نجح الأخوان في الاستيلاء على بعض المواقع مثل منبج[9]

---

(5) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص269 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص391 ؛ قاسم عبدة ، الأيوبيون والممّاليك ، ص88 .

(6) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص270 ؛ الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص117 .

(7) الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص118 ؛ عمران ، الحروب الصليبية ، ص191

(8) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص124 .

(1) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج2 ، ص479 .

(2) نابلس : مدينة قديمة بها مسجد ظاهر البلد ، وبها الجبل الذي يعتقد اليهود فيه اعتقاداً عظيماً واسمه ليبرم ، ينظر : القرماني ، أخبار الدول ، ج3 ، ص492 .

(3) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج3 ، ص123 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص155 .

(4) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص80 .

(5) منبج : مدينة ببلاد حلب كبيرة ذات خيرات كثيرة بأرزاق واسعة ، ينظر : ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي (ت614هـ/1217م) ، تذكرة بالأخبار على اتفاقات الأسفار (رحلة ابن جبير) ، دار صادر ، (بيروت – 1964م) ، ص223 ؛ القرماني ، أخبار الدول ، ج2 ص488 .

وقلعة نجم ، لكنهما فشلا في الاستيلاء على أفامية[1] ، وعندما وصلت قوات الأخوين إلى دمشق جرى اشتباك بين الجانبين ، ونجحت القوات المهاجمة في فرض حصار على دمشق في (14ذي العقدة597هـ/16آب1201م)[2] ، لكن المشاكل سرعان ما ظهرت بين الأخوين بسبب أختلافهما حول من يستولي على دمشق ، ممّا أدى إلى فشل الجيش في دخول المدينة[3] ، وازدادت هوة الخلاف بين الأخوين ممّا تعذر حلها ، فأفترقا في (محرم598هـ/تشرين الأول1202م) فعاد الظاهر إلى حلب ، بينما رجع الأفضل إلى حمص[4] ، وحاول العادل استغلال هذه الفرصة لانتزاع حلب من الظاهر غازي فسار بقواته إلى المدينة[5] ، وشعر الظاهر بخطورة الوضع وأدرك أنه لا يستطيع مواجهة الملك العادل ، فحاول التفاهم مع عَمّهِ فراسله ولاطفه وأهدى إليه ونجح في عقد صلح معه[6] ، وذلك لأن العادل وجد أن التفاهم سوف يحقق له ما يريد ، فمال إلى الصلح ، ونصت الاتفاقية على خضوع الأخوين للملك العادل ويكونا تابعين له[7] ، ويأتمرون بأمره ، مقابل أن يحصل الظاهر على منبج وفامية[8] وكفر طاب[9] ، بينما يحصل الأفضل على سميساط وسروج ورأس العين[10] ، لكن على الرغم من ذلك بقيت حالة التنافس على ضم المناطق مستمرة بين أفراد الأسرة الأيوبية[11] ، إذ أراد العادل أن يستولي على ما بيد أبناء أخيه ، فأنتزع سروج ورأس العين من الأفضل وأبقى له سميساط ، بينما نجح

---

(6) أفامية : مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص وربما قيلت بغير همزة ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص99 .

(7) ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص117 .

(8) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج3 ، ص125 ؛ الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص118 .

(9) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص101 ؛ الغزي ، نهر الذهب ، ج3 ، ص109 .

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص159 .

(2) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص392 ؛ الجندي ، تاريخ معرة النعمان ، ج1 ، ص177 .

(3) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص271 ؛ انتوني ، العرب ، ص266 .

(4) فامية : مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج4 ، ص223 .

(5) كفر طاب ، بلدة بين المعرة وحلب ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج4 ، ص470 .

(6) رأس العين : وهي أحدى مدن الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات مجاور الشام ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص72 .

(7) الزبيدي ، ترويح القلوب ، ص89 .

الظـاهر فـي انتـزاع قلعـة نجـم مـن الأفضـل لقـد كـان الصـراع فـي ذلـك الوقـت امـراً معتاداً,وكان الناصر الدين الله العباسي يحاول الحد من هذه الصراعات وحدث ذلك اثناء حصـار سـنجار سـنة (606هـ/1210م) [1] ، وهكـذا نجـح العـادل فـي حسـم الصـراع لصالحه لِمَا تميز به من الذكاء والمهارة السياسية ، وساعده على ذلك عدم أهلية أبناء صلاح الدين لتولي الحكم[2] .

(9) ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص120 ؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص191 .

(10) ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحيم بن علي بن احمد بن محمد بن عبد العزيز الحنفي المصري المعروف بالشيخ ناصر الدين (ت807هـ/1404م) ، تاريخ ابن الفرات ، تحقيق : حسن محمد الشماع ، (البصرة – 1970م) ، ج1 ، ص1 .

الفصل الثالث

صراع السلطة بين أبناء البيت الأيوبي بداية النهاية لحكمهم

المبحث الأول

صراع الملك العادل مع ابناء صلاح الدين من أجل تأسيس الزعامة

أولاً . الملك العادل وحسم الصراع مع الملك الظاهر غازي :

نجح الملك العادل في حسم الصراع مع آخر أبناء أخيه صلاح الدين وهو الظاهر صاحب حلب ، وذلك سنة (596هـ/1200م) عندما وافق على بقائه حاكماً على شرط الخطبة له هناك أي في حلب[1] ، لكنَّ العادل لم يكتفي بذلك بل أراد تأمين إخضاع حلب لسيطرته أو لأبنائه في المستقبل من بعده[2] ، عندما حاول السيطرة على سنجار سنة (605هـ/1208م)لان تحركات الملك العادل كانت موجهة بالأساس نحو حلب, حيث ان السيطرة على سنجار سوف يضعف من موقف الظاهر غازي [3] ، ولكنَّ الملك الظاهر انضم إلى جانب ملوك الأطراف ضد توسعات العادل[4] ، فقرر العادل سنة (607هـ/1210م) التوجه إلى حلب لإنهاء الصراع مع الظاهر بشكل نهائي من خلال السيطرة على مدينة حلب[5] ، واستعد الظاهر جيداً لقتال عمه ، وخرج بقواته إلى نهر الفرات لكي يعرقل تحركات العادل ، وقي الوقت نفسه أرسل إلى ملوك الأطراف يطلب منهم المساعدة ، فانضموا إلى جانبه خوفاً على مصالحهم في المنطقة[6] ، عندئذ قرر العادل الانسحاب وعدم الدخول في معركة خاسرة ، ويبدو انه استخدم أسلوب المهادنة بعد ذلك وحاول تذويب ما يعكر صفو العلاقة مع ابن أخيه وانقلب الجفاء إلى لين في

---

(1) بدر العيني ، السيف المهند ، ص199 .

(2) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص369 .

(3) الذهبي ، دول الاسلام ، ج2 ، ص112 .

(4) ملوك الاطراف هم : صاحب الروم خسرو شاه بن قليج ارسلان ، وصاحب الموصل نور الدين ارسلان زنكي ، وصاحب اربل مظفر الدين كوكبوري بن كوجك ، وصاحب سنجار قطب الدين محمد بن عماد الدين ، ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1984م) ، ج22 ، ص225 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص219 .

(5) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص219 .

(6) ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص75 ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص139 .

العلاقة بين الرجلين[1] ، لاسيما عندما تزوج الظاهر غازي من أبنة الملك العادل ، وذلك سنة (608هـ/1211م) ، وكانت فاتحة في كسب الصراع مع الظاهر بشكل جزئي بعيداً عن استخدام القوة[2] ، لكنَّ العادل ظل يحلم بالسيطرة على حلب وإنهاء الصراع مع أبناء أخيه من أجل السلطة من خلال ضرب أخر معاقلهم[3] ، ولم ينتهِ هذا الصراع إلاَّ بعد موافقة الظاهر غازي على شروط الملك العادل وهي : جعل الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر ولياً للعهد من بعد أبيه لأنه ابن بنت الملك العادل ، وأن يتزوج من بنت الكامل محمد بن العادل عندما يكبر[4] ، ولعل وصف الذهبي للملك الظاهر غازي يؤكد مدى خطورة هذا الرجل على مخططات الملك العادل ، فيقول : " كان الظاهر غازي صاحب دهاء ومكر ، وأعظم دليل على ذلك مقاومته لعمه العادل ، وكان لا يخليه يومياً من دون خوف وشغل ، وكان يصادق ملوك الأطراف ويباطنهم ويلاطفهم ويوهمهم أنه لولا هو لقد كان العادل يقصدهم ، ويوهم العادل أنه لولا هو لم يطعه أحد من الملوك ولكاشفوه بالشقاق ، فكان بهذا التدبير يستولي على الجهتين ويستبعد الفريقين ويشغل بعضهم ببعض "[5] ، وكان العادل يدرك خطورة بقاء الظاهر غازي في حلب بعيداً عن نفوذه ، لهذا استخدم هذه الوسيلة لإنجاح فكرته من خلال أخذ البيعة للملك العزيز محمد[6] ، وبهذا ضمن العادل خضوع حلب لسيطرة أحفاده من بعد وفاة الظاهر غازي الذي توفي سنة (613هـ/1216م)[7] ، وهكذا نجح في حسم الصراع مع أبناء صلاح الدين بشكل نهائي لمصلحته ولأبنائه من بعده[8] .

---

(1) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج22 ، ص226 .

(2) ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص250 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج7 ، ص102 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص120 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص261 .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص369 ؛ أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص94 .

(5) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج13 ، ص378 .

(6) أبو الفداء المختصر ، ج3 ، ص142 ؛ العيسى ، سالم سليمان ، المعجم المختصر للوقائع التأريخية والعسكرية والاجتماعية والدينية ، ط1 ، دار المنير ، (دمشق – 1998م) ، ص312 .

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج3 ، ص240 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص254 .

(2) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص370 ؛ ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص8 ؛ بدر ، مصطفى طه ، محنة الاسلام الكبرى او زوال الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة ، (القاهرة – 1999م) ، ص60 .

ثانياً . مؤامرة الأفضل الأخيرة :

نجح الملك العادل في إبعاد الأفضل عن الأضواء في الدولة الأيوبية[1] ، ولم يكتفِ بذلك بل أنه راح يخطط لأخذ كل المناطق منه ونجح في ذلك ، ولم يبقِ بيد الأفضل سوى سميساط ، ممّا أضطره إلى محاولة حسم الصراع قبل أن يفقد كل أمل في الدولة الأيوبية من خلال حياكة خيوط مؤامرة ضد العادل[2] ، وكان الملك العادل يتصور إن الأفضل هو الأقوى بين أبناء صلاح الدين ، لكنَّ مؤامرته الأخيرة برهنت على سوء تدبير الأفضل وسذاجته في مجال السياسة ، فعندما لم يجد أحداً من أفراد الأسرة الأيوبية يساعده في حسم صراعه مع العادل[3] ، لجأ إلى أعداء أسرته لكسب الصراع من أجل أن يعود إلى سابق عهده في قيادة الدولة الأيوبية[4] ، فتوقع أنه وجد الشخص المناسب لذلك ، فكان إن اتفق مع صاحب سلاجقة الروم الأمير كيكاوس(615هـ/1218م)[5] الذي أبدى أستعداده لمساعدته في مسعاه ، فأنضم إليه الأفضل وخطب له على منابر سميساط[6] ، وكان هذا ما ينتظره كيكاوس لكي يحقق أهدافه التي تتمثل في السيطرة على بلاد الجزيرة ومن ثم يسير لكي يحسم الصراع مع الدولة الأيوبية من خلال السيطرة على بلاد الشام[7] ، مستغلاً وفاة الملك الظاهر غازي صاحب حلب سنة (613هـ/1216م)[8] ، فأقترح كيكاوس على الأفضل أن يهاجما مدينة حلب ، وفي حالة

---

(3) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص189 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج7 ، ص178 .

(4) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص391 ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج2 ، ص148 .

(5) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج3 ، ص420 .

(6) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص391 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص261 .

(7) كيكاوس : عز الدين بن السلطان كيخسور بن قلج أرسلان السلجوقي التركماني القتلمشي ، وهو أخو السلطان كيقباذ ، ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج22 ، ص137 .

(8) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج19 ، ص283 ؛ عاشور ، الايوبيون والممّاليك ، ص81 .

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص127 .

(2) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص194 .

الاستيلاء عليها تكون من حصة الأفضل ، أما بلاد الجزيرة[1] فتكون من حصة كيكاوس[2] ، وظن الأفضل أن عودته أصبحت قريبة إلى السلطنة ، ولم يكن يتصور أن كيكاوس أتخذه وسيلة لكسب الصراع الدائم والمستمر بين السلاجقة – الروم والدولة الأيوبية على مناطق الجزيرة[3] ، وساند الأفضل كيكاوس في هجومه على أراضي الدولة الأيوبية وسيطروا على بعض الأراضي ، لكنَّ عندما استولى كيكاوس على منبج أخذها لنفسه ، فعرف الأفضل نية كيكاوس وندم على خيانته لأسرته[4] ، فعمل على تأخير كيكاوس على أخذ حلب ثم انسحب عن دعم كيكاوس في المعركة الفاصلة مع الجيش الأيوبي[5] ، وكان تراجع الأفضل عن دعم كيكاوس من الأسباب التي أدت إلى فشل خطط سلطان سلاجقة الروم الذي تراجع منهزماً وخسر جميع الأراضي التي استولى عليها[6] ، بينما عاد الأفضل إلى سميساط ولم يتحرك بعدها من أجل استعادة المُلك الضائع إلى أن مات سنة (622هـ/1225م)[7] ، وهذه كانت آخر محاولات أبناء صلاح الدين من أجل كسب الصراع مع العادل حول السلطة[8] .

المبحث الثاني

صراع السلطة والتأثيرات الخطيرة على سياسة الدولة الأيوبية الجهادية

---

(3) بلاد الجزيرة : وهي الجزيرة التي تقع بن دجلة والفرات مجاورة إلى الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر وفيها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة ومن أمهات مدنها حران والرها والرقة . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص72 .

(4) ابن خلدون ، تاريخ ، ج4 ، ص194 ؛ ابن سباط ، صدق الاخبار ، ج1 ، ص262 .

(5) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص392 ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص149 .

(6) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص195 ؛ الزبيدي ، ترويح القلوب ، ص89 .

(7) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص127 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص262 .

(8) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص195 .

(9) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج3 ، ص421 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص152 .

(10) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص127 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص262 .

لقد كان لصراع السلطة بين أبناء صلاح الدين تأثيرات كبيرة على الطرفين ، ظلت أثارها ونتائجها مستمرة إلى مدة طويلة خاصة على الدولة الأيوبية[1] ، ونحاول هنا أبراز هذه التأثيرات التي ظهرت في كلا الطرفين مع ذكر بعض الحقائق التأريخية والأمثلة التي حدثت بسبب تلك الصراعات ، ويمكن لنا أن نجعل ذلك على جانبين .

أولاً . تأثيرها على مجريات الجهاد مع الصليبيين :

أبدى الصليبيون ارتياحاً لِمَا يحدث في البيت الأيوبي من تفكك ، وأخذوا يراقبون ما تأتي به الظروف بين هؤلاء الأخوة أصحاب هذه الدويلات المتنازعة[2] ، وأعدوا أنفسهم لحملة صليبية جديدة والانتقام من صلاح الدين متمثلاً بالمسلمين[3] ، وساعدتهم ظروف الهدنة التي عقدوها مع صلاح الدين من قبل سنة (588هـ/1192م) على تجميع إمدادات وجنود ، لكنَّهم أيضاً أرادوا القيام بخطوة استطلاعية جريئة[4] ، للتعرف على قدرة خلفاء صلاح الدين على الاحتفاظ بأراضيهم ، فقاموا بالهجوم على مدينة جبيل[5] ، فأستولوا عليها سنة (590هـ/1194م) بدون قتال بعد خيانة أميرها الكردي الذي سلم

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص61 ؛ العارف ، عارف باشا ، تاريخ القدس ، ط2 ، دار المعارف ، (القاهرة – 1951م) ، ص83 .

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص63 ؛ ابن إياس ، نزهة الأمم ، ص134 ؛ عودة ، محمد عبد الله ، حكمت عبد الكريم فريحات ، إبراهيم ياسين الخطيب ، مختصر التأريخ الإسلامي ، (الأردن – 1989م) ، ص120 .

(3) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص129 ؛ عبد القادر ، معارك فاصلة ، ص229 ؛ موير ، السير وليم ، تاريخ دولة الممّاليك في مصر ، ترجمة : محمود عابدين وسليم حسن ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة – 1995م) ، ص26 .

(4) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص246 ؛ ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص6 ؛ عامر ، سامية ، الصليبيون في فلسطين وبلاد الشام ، ط1 ، عين للدراسات ، (القاهرة – 2002م) ، ص84 .

(1) جبيل ، تصغير الجبل ، وهو الجبل الذي بالسوق وهو سلح ، وجبيل بلد في سواحل دمشق فتحها صلاح الدين سنة (583هـ) ، فباعها الكرد إلى الفرنج ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص109 .

المدينة إلى الصليبيين مقابل بعض الأموال[1] ، وهذا يدلُّ على مدى ضعف الأفضل وعدم أهليته لتولي الحكم[2] ، وكان الصليبيون قد استبشروا خيراً بهذه الصراعات لأنَّها كانت ذات تأثير إيجابي عليهم في حروبهم الشرسة ضد المسلمين ، لأنَّهم ضمنوا البقاء في بلاد الشام لمدة أطول ، كما أدت إلى ضعف المقاومة الإسلامية بشكل عام[3] ، ومنحتهم فرصة ذهبية لتجميع قواتهم للتوسع من جديد مستغلين انشغال أبناء صلاح الدين في صراعاتهم الداخلية من أجل الأراضي وتولي السلطنة في الدولة[4] ، فأفقدت الدولة قوتها العسكرية ومزقت وحدتها ، ممّا سمح لمملكة بيت المقدس الوهمية التي نقلت مقرها إلى عكا بأن تعيش وتحلم باستعادة بيت المقدس[5] ، حتى أن ملكها الجديد هنري ذي شامباني (Henry of Champayne) (589-593هـ/1194-1197م) لم يتوج فيها ، وكان ينتظر أن يعود إلى بيت المقدس ليتوج هناك[6] ، كما حالت هذه الصراعات بين أبناء صلاح الدين دون ان يتسلم المسلمون زمام الهجوم على المملكة الوليدة الضعيفة ، وتمكن ملكها الجديد أن يعيد إليها النظام وبعض القوة[7] ، وكانت أوربا على علم بهذه الصراعات الداخلية ومدى سوء أوضاع الدولة الأيوبية[8] ، لهذا قرر هنري السادس (Hanry VI) إمبراطور ألمانيا (576-593هـ/1190-1197م) استغلال تردي الأوضاع الداخلية للدولة الأيوبية لمصلحته من خلال حسم الصراع مع المسلمين

---

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص110 ؛ زكار ، الموسوعة الشاملة ، ج11 ، ص390 .

(3) ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص60 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص203 .

(4) ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص9 ؛ الفيتري ، يعقوب ، تاريخ بيت المقدس ، ترجمة : سعيد البشاوي ، ط1 ، دار الشروق ، (الأردن – 1998م) ، ص170 .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص66 .

(6) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص219 ؛ رنسيمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة ، ترجمة : نور الدين خليل ، دار الشروق ، (الإسكندرية – 1998م) ، ج3 ، ص123 .

(7) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص155 .

(8) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص227 ؛ الشامي ، صلاح الدين والصليبيون ، ص167.

(1) ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص114 ؛ علي ، القدس في العصر المملوكي ، ص21 .

عن طريق استعادة بيت المقدس من أيديهم[1] ، وتحقيق حلمه الكبير بتشكيل إمبراطورية عالمية ألمانية في الغرب عن طريق إخضاع الشرق ، وكذلك الإمبراطورية البيزنطية للسيطرة الألمانية[2] ، ولا يخفى أن الدولة البيزنطية كانت في صراع مستمر مع الغرب الأوربي حول زعامة العالم المسيحي[3] ، فضلاً عن ذلك أن هنري أراد أن يكسب الصراع مع البابا حول مشكلة التقليد العلماني للملوك من خلال إخضاع الشرق ومن ضمنها الأراضي المقدسة[4] ، وكان يأمل أيضاً استعادة مكانة الألمان في الأراضي المقدسة ، وهذا يعني أن إمبراطور ألمانيا سوف يدخل في صراع من أجل استعادة امتيازات الألمان في القدس وغيرها[5] ، فأعد حملة لهذا الغرض واسند قيادتها إلى كونراد رئيس أساقفة مدينة مينز (Mainz) ، وأدولف (Adolf) كونت هولشتن (Holestein) ، وكان يهدف إلى تحقيق تلك الأحلام العريضة[6] ، ووصلت هذه القوات إلى عكا في (شوال593هـ/آب1197م)[7] ، ورغم أن ملك بيت المقدس كان يرحب بقدوم حملة صليبية جديدة إلى الشرق ، لكنَّهُ كان هذه المرة يساوره الشك حول نوايا إمبراطور ألمانيا ، لأنه أدرك أن هنري يريد كسب الصراع مع بيزنطة حول زعامة العالم المسيحي ، لهذا

---

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص68 ؛ سوريال ، عزيز عطية ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة : فيليب صابر سيف ، ط2 ، دار الجيل ، (القاهرة – 1990م) ، ص69 .

(3) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص246 ؛ زابوروف ، ميخائيل ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة : الياس شاهين ، دار التقدم ، (موسكو – 1986م) ، ص212 .

(4) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص288 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص89 ؛ تاوضروس ، اسحاق عبيد ، روما وبيزنطة من قطيعة فوشبوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين (869-1204م) ، دار المعارف ، (مصر – 1970م) ، ص125 .

(5) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص169 ؛ موير ، تاريخ دولة الممّاليك ، ص27 ؛ الشلبي ، احمد ، التأريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط7 ، دار النهضة المصرية ، (القاهرة – 1986م) ، ص764 .

(6) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص68 ؛ موير ، تاريخ دولة الممّاليك ، ص28 .

(7) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص246 ؛ هلستر ، س ، ورن ، أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة : محمد فتحي الشاعر ، مطبعة الانجلو المصرية ، (بور سعيد – 1988م) ، ص191 .

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص69 .

استقبل جنود الحملة ببرود كبير[1] ، وعلى الرغم من ذلك تقدمت القوات الألمانية إلى الجليل ، ممّا آثار حفيظة العادل الذي خرج بالقوات لمواجهة الحملة الألمانية وانضم اليه العزيز عثمان لمساعدته ، لكنَّ الألمان تراجعوا إلى عكا ، فغير العادل من خططه وهاجم يافا ونجح في دخولها سنة (593هـ/1197م)[2] ، وقامت الحملة بالرد على ذلك بأن هاجمت تبنين[3] وحاصرتها في شهر (محرم593هـ/تشرين الثاني1197م) ، لكنَّها فشلت في دخولها[4] ، لكنَّ القوات الألمانية أصيبت بخيبة أمل كبيرة بعد وفاة هنري السادس سنة (593هـ/1197م)[5] ، واندلاع الحروب الداخلية في ألمانيا حول العرش ، فعادَ معظم الجنود الألمان إلى بلادهم ، وأدى ذلك إلى فشل الحملة[6] ، وازداد موقف الصليبيين سوءاً بعد وفاة هنري شامباني في (25شوال593هـ/10آيلول1197م) ، فاضطربت أحوال المملكة من جديد بسبب الصراع الذي ظهر حول وراثة العرش[7] ، وعلى الرغم من كلِّ هذه الأحداث المفجعة فأنَّ صراعَ السلطة بين أبناء صلاح الدين جعلت الصليبيين يحققون نجاحات سياسية عن طريق الدبلوماسية تفوق نجاحاتهم عن طريق الحروب[8] ، إذ لم ينتهِ طمع الصليبيين ولم يقف عند حدٍ ، فكلما هاجموا مدينة ولم يتمكنوا من أخذها عنوة عقدوا هدنة مؤقتة ومشروطة مع أميرها واستفادوا من شروط هذه الهدنة[9] ، وارتفعت الروح المعنوية لدى الصليبيين فقاموا بعدة هجمات على الدولة

---

(2) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ج3 ،ص169 ؛ عبد المنعم ، دراسات في تاريخ الأيوبيين ، ص99.

(3) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص391 ؛ ابن سباط ، صدق الأخبار ، ج1 ، ص218 .

(4) تبنين : بلدة تقع على جبال بني عامر المطلة على بانياس بين دمشق وصور إلى الجنوب الغربي ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص14 .

(5) ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص13 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص386 .

(6) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص68 ؛ هلستر ، أوربا في العصور الوسطى ، ص191 ؛ خطاب ، موقف بيزنطة ، ص139 .

(7) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص70 ؛ عبد المنعم ، دراسات في تاريخ الأيوبيين ، ص99 .

(8) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص246 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص387 ؛ الدبس ، تاريخ سورية ، ص133 .

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص69 ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج12 ، ص93 .

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص69 ؛ الشامي ، صلاح الدين والصليبيون ، ص183 .

الأيوبية ، ولكي تكتمل الصورة نذكر هذه الأحداث أو الهجمات التي تظهر تصاعد قوة الصليبيين يقابلها انعدام الرد الأيوبي[1] ، ومن أبرز هذه الأحداث :

1. قيام الصليبين بالهجوم على مدينة بيروت[2] والاستيلاء عليها سنة (593هـ/1197م)[3] .
2. محاولة الفرنج السيطرة على بعرين[4] من خلال عدة هجمات قاموا بها لكنَّهم فشلوا في ذلك سنة (599هـ/1202م) ، بفضل تصدي صاحب حمص لهم[5].
3. في سنة (600هـ/1207م) هاجمت عشرون سفينة أراضي مصر ودخلت فرع رشيد وتوغلت حتى وصلت إلى مدينة فوه[6] التي تعرضت للسلب والنهب[7] .

4. هاجم الصليبيون جبلة[8] واللاذقية[9] سنة (601هـ/1205م) وقتلوا من أهالي جبلة الكثير[10] .
5. استمرار غارات الصليبيين في حصن الأكراد[1] منذ سنة (603هـ/1206م) على مدينة حمص[2] .

---

(3) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص247 .

(4) بيروت : مدينة مشهورة على بحر الشام تعد من أعمال دمشق ، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص240 .

(5) ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص112 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص333 .

(6) بعرين : بوزن خمسين ، بلد بين حمص والساحل ، وهو من الأخطاء العامة وإنما بارين ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص207 .

(7) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص98 .

(8) فوه : بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد ، بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ أو ستة ، وهي ذات أسواق ونخل كثير ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج4 ، ص10 .

(9) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج1 ، ص16 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج7 ، ص5 .

(1) جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص24 ؛ ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص257 .

(2) اللاذقية : مدينة في ساحل الشام من اعمال حلب تعد من اعمال حمص ، وهي غربي جبلة بينها ست فراسخ وهي مدينة رومية قديمة ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج5 ، ص338 .

(3) الذهبي ، دول الاسلام ، ج3 ، ص108 .

6. استيلاء قراصنة قبرص[3] سنة (604هـ/1207م) على عدة سفن تابعة للأسطول المصري[4] .

ويبدو أن الصليبيين اتبعوا سياسة الحرب الخاطفة على الدولة الأيوبية للحصول على الغنائم ليتقووا بها ، وجساً لنبض القوات الإسلامية والوقوف على أماكن الضعف والقوة التي يمكن لها مقاومة الصليبيين ، وكانت هذه السياسة نوعاً من الحرب النفسية[5] ، لإنزال الخوف والرعب في نفوس المسلمين الذين كانت معنوياتهم منهارة بسبب فقدان أو بالأَحرى وفاة قائدهم صلاح الدين وحسرتهم على تفكك الدولة الأيوبية ، ودخول قادتها في صراع مرير من أجل السلطة, وفي هذه المرحلة اخذ العلماء يحركون العامة للضغط على أمراء بني أيوب لوقف الصراعات والتفرغ لمواجهة الصليبين [6] ، ولإشاعة الاضطراب في صفوف الجيش الأيوبي المنهار نفسياً أي أنهم كانوا بذلك يحاولون التمهيد لمجيء حملة صليبية جديدة لأجل استعادة بيت المقدس من المسلمين[7] ، وتزامنت هذه الاستعدادات مع جهود البابا أنوسنت الثالث (597-613هـ/1198-1214م)[8] ، لتجهيز حملة صليبية جديدة هدفها محو العار الذي أصاب الصليبيين

---

(4) حصن الاكراد : هو حصن منيع على الجبل الذي مقابل حمص من جهة الغرب ، وهو الجبل المتصل بجبل لبنان ، وهو بين بعلبك وحمص وكان بعض أمراء الشام قد جعل فيه قوماً من الأكراد طليعة بينه وبين الفرنج ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص276 ؛ ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص259 .

(5) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص341 ؛ ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص57 .

(6) قبرص : يرسمها ياقوت بالسين ، وهي جزيرة في بحر الروم ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج4 ، ص29 .

(7) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص342 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص108 .

(8) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص109 .

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص66 ؛ شعث ، شوقي ، دراسات في تاريخ وأثار فلسطين ، ط1 ، مطبعة الأوائل ، (دمشق – 2001م) ، ص244 .

(2) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج12 ، ص954 ؛ غنيم ، دراسات في تاريخ امبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية – 1991م) ، ص67 .

(3) رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ج3 ، ص196 ؛ ديفز ، هـ.و ، أوربا في القرون الوسطى ، ترجمة : عبد الحميد حمدي محمود ، ط1 ، دار المعارف ، (الاسكندرية – 1058م) ، ص201 .

على يد صلاح الدين ، واسترداد بيت المقدس فنجح في الإعداد للحملة الصليبية الرابعة[1] ، وعلى هذا الأساس كانت هذه الصراعات تصب في مصلحة الغزاة الصليبيين بصورة عامة ، لأنها زرعت في نفوسهم الأمل من جديد للبقاء في بلاد الشام في ظل اشتداد صراع السلطة بين أبناء صلاح الدين وأخوته, وظهره في هذه الحملة تعاون بين بعض الأمارات الصليبية مع الصليبين لتحقيق مكاسب على الأرض مثل أمارة انطاكية [2] ، ولكنَّ من حسن حظ المسلمين بشكل عام والدولة الأيوبية بشكل خاص أن أوربا دبت الخلافات والصراعات بين أقطابها[3] ، فلهذا لم تستطع استغلال تفتت الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين ، فضلاً عن أن فكرة الحرب في سبيل الأرض المقدسة قد انكمشت لدى الأوربيين[4] .

ثانياً . أثره على الدولة الأيوبية :

أثرت هذه الصراعات بشكل سلبي على الدولة الأيوبية وسياستها الجهادية التي كانت لغتها التي تتحدث بها ، لكنَّ وللأسف قام خلفاء صلاح الدين بتغيير هذه اللغة ونزعت الثوب الدولة الأيوبية[5] ، إذ أنها صارت ترتدي ثوب الأسير البائس الضعيف ، ممّا جعلتها غير قادرة على الوقوف بوجهِ الأعداء بسبب فقدانها لقوتها ، لأنَّها أصبحت تنتهج سياسة دفاعية بحتة وفقدت المبادرة بالهجوم ، وتخلت عن ذلك لصالح الصليبيين[6] ، ولم يكن تاريخ الأيوبيين في هذه المدة سوى قصة طفحت بما وقع من الحروب

---

(4) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج22 ، ص222 ؛ كانتور ، نورمان ، ف ، التأريخ وسط قصة الحضارة البداية والنهاية ، ترجمة : قاسم عبدة قاسم ، عين للدراسات ، (القاهرة – 1997م) ، ج2 ، 418 .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص72 ؛ الزبيدي ، ترويح القلوب ، ص59 .

(6) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج21 ، ص289 .

(7) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص164 ؛ شوفاني ، الموجز في تاريخ فلسطين ، ص216 .

(1) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص6 ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج13 ، ص8 .

(2) مجير الدين الحنبلي ، الأُنس الجليل ، ص398 .

والصراعات والمؤامرات بين أفراد الأسرة الأيوبية[1] ، فكل واحد منهم يطمع في أن يكون نصيبه يضارع نصيب جاره أو يفوقه ، وأهتموا بصراعاتهم حول السلطة وانشغلوا بحروب بعضهم البعض عن الجهاد مع الصليبيين ، وصار الجهاد بالنسبة لأبناء صلاح الدين مسألة سياسية دنيوية[2] ، ممّا أدى بهم إلى إتباع سياسة متخاذلة أمام الصليبيين تجنح إلى التفريط والتسليم لهم ، لكي يتفرغوا إلى محاربة بعضهم البعض ، وهذا ما أوقعت المسلمين في مصائب عدة ، منها حروب الفرنج وحروب الملوك ملوك (الأيوبيين) ، وظهور الغلاء الشديد والقحط المؤلم[3] ، فأزدادت أوضاع المسلمين سوءاً ، فأضطر العزيز عثمان صاحب مصر (593-595هـ/1196-1195م) إلى طلب تجديد الهدنة من الصليبيين بسبب الظروف السيئة التي تمر بها الدولة[4] ، ولم تشهد الدولة الأيوبية في عهد الأفضل ولا في عهد العزيز عثمان تحركات عسكرية ضد الصليبيين ، لأنَّهما ركزوا على الصراع الداخلي فيما بينهما[5] ، وعندما تولى الملك العادل السلطنة سنة (596هـ/1201م) تغير حال الدولة بعض الشيء ، ولولا وجود العادل في هذه المدة الحرجة لسقطت الدولة تحت ضربات الصليبيين من الخارج والصراعات الداخلية بين أبناء صلاح الدين[6] ، وكان دور العادل في هذه المرحلة الخطيرة كبيراً جداً على الرغم

---

(3) الخياط ، علم الدين سنجر السروري الصالحي (ت695هـ/1295م) ، المختصر من الكامل في التأريخ وتكملته ، تحقيق : عبد السلام تدمري ، ط1 ، المكتبة العصرية ، (بيروت – 2002م) ، ص39 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص71 .

(4) بينما كان الجهاد وحبه والشغف به قد استولى على قلب صلاح الدين ، وقد هجر في حب الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ووطنه ، ينظر : ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص53 ؛ كشاف ، تاريخ مصر ، ص378 .

(5) ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص21 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص75 .

(6) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص246 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص387 .

(1) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج3 ، ص135 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج3 ، ص52 .

(2) ابن سباط ، صدق الاخبار ، ج1 ، ص229 ؛ كحيلة ، ابو القاسم عبادة بن عبد الرحمن رضا ، العقد الثمين في تاريخ المسلمين ، ط1 ، مطبعة الكتاب الحديث ، (الكويت – 1996م) ، ص251 .

من أنه انتهج سياسة مغايرة لسياسة صلاح الدين لحسم الصراع مع الصليبيين[1] ، ولأنَّ العادل كان لا يثق بمساعدة أبناء أخيه له في حربه مع الصليبيين ، وكان يعتقد أنهم يتحينون الفرصة السانحة للقضاء عليه ، لأنهم كانوا في صراع مستمر مع العادل من أجل السلطة[2] ، فأضطر إلى اتخاذ قرار بعدم مهاجمة القوات الصليبية ، إلاَّ في حالة إذا أتسمت تحركاتهم العسكرية بالخطورة الكاملة ، لهذا غير من سياسة الدولة الأيوبية ، واتبع سياسة أخرى تقوم على التسليم والمهادنة مع الصليبيين[3] ، ففي بداية حكمه كان يحاول بكلِّ الوسائل عدم إثارة حرب كبيرة معهم ، لأنه كان بحاجة إلى الوقت لتثبيت سلطته في الداخل[4] ، فعمل على إرضائهم بأيِّ ثمن ، وحاول إغراء الصليبيين بالنشاط التجاري لأجل إبعادهم عن الحروب مع الدولة الأيوبية ، ونجح العادل بهذه السياسة في إبعاد تفكير الصليبيين في القيام بحملة صليبية على بلاد الشام[5] ، بل أنه أستطاع أن يغير من وجهة الحملة الصليبية الرابعة سنة (600هـ/1204م)[6] ، عن طريق التأثير في البنادقة الذين كانوا قد عقدوا علاقات تجارية مع العادل ، فقام البنادقة بتحويل مسار الحملة من بلاد الشام إلى القسطنطينية[7] عاصمة بيزنطة ، وذلك لإنهاء الصراع بين

---

(3) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص152 ؛ مجير الدين الحنبلي ، الأُنس الجليل ، ص399 ؛ سركيس ، خليل بن خطار ، تاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشليم ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، (بور سعيد – 2001م) ، ص119 .

(4) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج3 ، ص109 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص80 .

(5) مجير الدين الحنبلي ، الأُنس الجليل ، ص401 ؛ عطا ، زبيدة محمد ، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، دار الأمين ، (القاهرة – 1994م) ، ص107 .

(6) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص90 ؛ عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص192 .

(7) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص288 ؛ كاهن ، كلود ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة : احمد الشيخ ، ط1 ، سينا للنشر ، (القاهرة – 1995م) ، ص235 .

(1) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص396 ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج1 ، ص12 .

(2) القسطنطينية : لقد بنى قسطنطين الأكبر بيزنطة وسماها قسطنطينية ، وهي دار ملك الروم ، بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح ، ولها خليج في البحر يطيف بها من جهتين ، وذكر أن لها أبواب كثيرة نحو مائة باب ، منها باب الذهب وهو حديد مموه بالذهب ، ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج4 ، ص96 .

الطرفين حول زعامة العالم المسيحي ، وهذا يعتبر بحد ذاته إنجازاً كبيراً للملك العادل[1] ، لكنَّ العادل أفرط في سياسة التسامح مع الصليبين ، ممّا تسبب في الأذى الذي أخذ يلحق بالمسلمين ، إذ أنه لم يكتفِ بعدم الهجوم بل أنه كثيراً ما كان يغض النظر عن العدوان الصليبي[2] ، رغبة منه في عدم إشعال نار الحرب معهم ومثال على ذلك رَدّ العادل على قيام القراصنة في قبرص سنة (604هـ/1207م) بالاستيلاء على بعض السفن التابعة للأسطول المصري[3] ، فكان موقفهُ هو الإكتفاء بإنذار ملك بيت المقدس واقتنع برد الأسرى فقط[4] ، وهذه السياسة تختلف عن سياسة صلاح الدين ، إذ لجأ العادل إلى استخدام أسلحة الدبلوماسية والتأمر بدلاً من الحروب لمواجهة الغزاة المغتصبين[5] ، واستخدم أيضاً سلاح المعاهدات والامتيازات التجارية لدفع الصليبيين لعقد سلم دائم ، لأن العادل تصور أنه لم يعد بحاجة للجهاد أو أنه لم يعد هناك سبب يدعو للجهاد بعد استرجاع بيت المقدس وضعف الجانب الصليبي[6] ، فقد ألتزم نحو هؤلاء سياسة التعايش السلمي والتبادل التجاري ، لهذا عقد معاهدات عدة مع الجانب الصليبي ناشداً من خلالها سلماً دائماً بين الطرفين[7] ، ومن هذه المعاهدات:

---

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص89 ؛ غنيم ، دراسات في تاريخ إمبراطورية ، ص94 .

(4) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص291 ؛ الشامي ، صلاح الدين ، ص181 .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص101 .

(6) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص215 .

(7) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص167 ؛ الحجاري ، عبد الله بن ابراهيم (بلا وفاة) ، النجوم الزاهرة في حُلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المعرب في حُلى المغرب ، تحقيق : حسين نصار دار الكتب ، مركز تحقيق التراث ، (القاهرة – 1970م) ، ص206 .

(8) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص9 ؛ خان ، ظفر الإسلام ، تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى أخر غزو صليبي ، ط3 ، دار النفائس ، (بيروت – 1981م) ، ص180 .

(1) مجير الدين الحنبلي ، الأُنس الجليل ، ص401 ؛ شعث ، دراسات في تاريخ وأثار فلسطين ، ص245 .

1. عقد الملك العادل صلحاً مع ملك مملكة بيت المقدس سنة (594هـ/1198م) ، لمدة ثلاث سنوات بموجبها احتفظ الفرنج ببيروت وجبيل ، وبقيت يافا بيد العادل ، وتم تقسيم صيدا مناصفة بين الطرفين[1] .
2. وفي سنة (601هـ/1204م) عقد العادل صلحاً مع الفرنج وفيها تنازل العادل عن اللد والرملة[2] .
3. وأبرم الملك العادل صلحاً مع بوهيموند الرابع سنة (603هـ/1207م) وفيها تم تبادل الأسرى[3] .
4. وفي سنة (607هـ/1212م) عقد العادل معاهدة أخرى مع الصليبيين[4] .

وعقد هذه المعاهدات بأستمرار جعلت الصليبيين يطلبون المزيد ، لأنَّهم تأكدوا من ضعف الدولة الأيوبية ، فحدث لديهم تغيير كبير في السياسة الحربية ، إذ أنهم حولوا قواتهم إلى مصر[5] ، لأنَّها المخزن الرئيس الذي أستمد منه صلاح الدين موارده التي مكنته من الإطاحة بالصليبيين في بلاد الشام وعرفوا أن مفتاح بيت المقدس موجود في مصر[6] ، وأنه إذا أراد الصليبيون أن ينعموا بحياة آمنة في بلاد الشام فعليهم أن يحكموا قبضتهم على مصر أولاً[7] ، وعلى الرغم أن العادل قد منح أهل مدينة البندقية امتيازات تجارية جديدة في مصر ، وكان يتوقع أنه بذلك قد نجح في دفع الخطر عن أراضي الإسلام[8] ، لكنَّه كان مخطئاً ، فالعدو الصليبي كان بخطط لحملة صليبية جديدة ، فنقضوا الهدنة مع العادل الذي لم يصدق ذلك ، وازدادت متاعبه الصحية كثيراً بعد

---

(2) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص247 ؛ ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص13 .
(3) ابن الفرات ، تأريخ ابن الفرات ، ج1 ، ص20 .
(4) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص166 ؛ مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل ، ص401 .
(5) الخياط ، المختصر من الكامل ، ص95 ؛ كاشف ، موسوعة تاريخ مصر ، ص385 .
(6) ابن خلدون ، تأريخ ، ج5 ، ص398 ؛ خان ، تأريخ فلسطين ، ص178 .
(7) الذهبي ، تأريخ الاسلام ، ج13 ، ص75 .
(8) ابن الفرات ، تأريخ ابن الفرات ، ج1 ، ص228 ؛ الكاتب ، عبد الحميد القدسي ، الفتح الإسلامي ، الغزو الصليبي ، ط1 ، دار الشروق ، (القاهرة – 1994م) ، ص97 .
(1) مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل ، ص401 ؛ كاشف ، موسوعة تأريخ مصر ، ص386 .

سقوط دمياط في أيدي الصليبيين[1] ، فمات من شدة الصدمة وهول الكارثة (615هـ/1218م)[2] ، ومن الواضح أن سياسة العادل وتسامحه كانتا لا تتفقان بأي حال مع روح العصر[3] ، وحماسة المسلمين الذين دأبوا على عقد اجتماعات في جامع دمشق ، لإعلان استنكارهم لسياسة الاستكانة التي أتبعها العادل مع الصليبيين[4] ، والذي كان مندهشاً لهذا الاعتداء ، وقد خاب أمله على الأخص في إجراءاته ، لأنه تحمل منذ سنين سخرية رجال الدين الذين كانوا يتهمونه بالتخلي عن الجهاد بسبب صداقاته مع الفرنج[5] ، لكنَّ هذه السياسة المخزية التي اتبعها العادل كانت جزءاً من نتائج صراع السلطة التي ظهرت بعد وفاة صلاح الدين بين أبنائه وإخوانه[6] .

ثالثاً . صراع السلطة في الدولة الأيوبية على المدى القصير وخسارة عكا (587هـ/1191م) :

لم ينتهِ ذلك الصراع الذي ظهر بين المماليك وبين الأمراء الأكراد حول السلطة بعد وفاة أسد الدين شيركوه سنة (564هـ/1169م)[7] ، وظهر ذلك بوضوح أثناء حصار مدينة عكا من الصليبيين سنة (587هـ/1191م)[8] ، إذ طلب مجموعة من الأمراء الأتراك وكبار الجند من صلاح الدين السماح لهم بأن يعودوا إلى أقطاعاتهم[9] ، والحجة هي أنهم تعبوا من كثرة القتال ، لهذا فهم بحاجة إلى الراحة وتعهدوا بأنهم سيرجعون بعد انتهاء فصل الشتاء[10] ، والحقيقة أنهم كانوا في صراع مستمر مع الأمراء الأكراد حول السلطة والنفوذ من

---

(2) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص399 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص226 .

(3) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص111 ؛ ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص8 .

(4) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج2 ، ص23 .

(5) ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص342 .

(6) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج22 ، ص225 .

(7) الذهبي ، تأريخ الإسلام ، ج13 ، ص16 ، الفقي ، بلاد الجزيرة ، ص191 .

(8) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص81 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص331 .

(9) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص187 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص48 .

(1) يأتي في مقدمة هؤلاء الأمراء الأمير حسام الدين أبو الهيجاء ، ينظر : ابو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص8 .

(2) ابو الفداء المختصر ، ج3 ، ص99 ؛ ماجد ، الدولة الأيوبية ، ص113 .

ناحية ، ومن ناحية ثانية أنهم خشوا على أقطاعاتهم فقرروا التضحية بالمسلمين في مقابل الاحتفاظ أو الحفاظ على ممتلكاتهم الشخصية[1] ، فأضطر صلاح الدين إلى السماح لهم بأن يعودوا إلى أقطاعاتهم حفاظاً على وحدة صف الجيش الأيوبي من جهة ، ومن جهة ثانية لم يكن الوقت ولا المكان مناسبين للسلطان لكي يطبق إجراءات صارمة ضد هؤلاء الأمراء خدمة لمصلحة دولته[2] ، فخرج من المدينة ستون أميراً من الأمراء الأتراك مع عساكرهم[3] ، وحصل هذا مع بقاء الفرنج محاصرين للمدينة ، وهذا ما أجبر صلاح الدين إلى إرسال مجموعة أخرى من الأمراء لسد النقص الحاصل في المدينة ، فأرسل عشرين أميراً إلى المدينة وكانوا بقيادة الأمير الكردي سيف الدين الهكاري المعروف بابن الشطوب[4] ، فظهر خلل واضح في دفاعات عكا بسبب تناقص عدد الأمراء والعساكر ، وهذا ممّا سهل من مهمة الصليبيين وأثر على الروح المعنوية للمدافعين عن المدينة[5] ، والأغرب من ذلك أن بعض الأمراء الأتراك فروا من المدينة سراً على ظهر مركب صغير تاركين مصير الجنود والمدينة إلى الأقدار[6] ، وهذا ممّا أدى في النهاية إلى سقوط المدينة بيد الصليبيين في أخر الأمر[7] .

رابعاً . أثر صراع السلطة في البيت الأيوبي على المدى الطويل :

1 . احتلال دمياط من قبل الصليبيين (616هـ/1219م) :

---

(3) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص41 ؛ غنيم ، الدولة الأيوبية ، ص52 .

(4) ابن خلدون ، تأريخ ، ج5 ، ص376 .

(5) أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص8 ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص100 .

(6) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1 ، ص182-183 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص46 .

(7) ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج10 ، ص198 ؛ ابن خلدون ، تأريخ ، ج5 ، ص376 .

(8) إذ فَرَّ من المدينة مجموعة من كبار الأمراء مثل الأمير حسام الدين تمرقاش ابن الجادلي والأمير سنقر الوشاني وعز الدين أرسل الاسدي ، ينظر : أبو شامة ، عيون الروضتين ، ج1 ، ص9 .

(9) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص258 ؛ عاشور ، أضواء جديدة على الحروب ، ص33 ؛ الهاشمي ، عبد المنعم ، صلاح الدين الأيوبي ، ط1 ، دار اليمان ، (الإسكندرية – 1008م) ، ص226 .

بعد وفاة الملك العادل سنة (615هـ/1218م) تدهورت أحوال الدولة الأيوبية[1] ، وظهر الصراع على السلطة من جديد داخل البيت الأيوبي ، إذ استغل الأمير عماد الدين ابن الشطوب وفاة السلطان وتصور أنه أمام الفرصة المناسبة لإحكام قبضته على الدولة[2] ، فأتفق مع بعض الأمراء والأكراد على خلع الملك الكامل محمد (615-635هـ/1218-1238م) من السلطنة[3] ، وان ينصبوا بدلاً منه أخاه الملك الفائز إبراهيم بن الملك العادل (ت617هـ/1220م) لكي تكون لهم السلطة والنفوذ[4] ، وحدث هذا في أكثر أوقات الدولة الأيوبية خطورة ، إذ كان الصليبيون يحاولون السيطرة على مصر[5] ، ويتبين أن هؤلاء الأمراء لم يفكروا في عاقبة عملهم هذا على الإسلام والمسلمين ، ولولا تدخل الملك الاشرف بن العادل في صالح المسلمين ولينقذ الدولة من مشكلة خطيرة لتغيرت خارطة العالم الإسلامي آنذاك[6] ، إذ علم الملك الكامل بخيوط المؤامرة لكنَّهُ اضطر إلى ترك الجيش واللجوء إلى منطقة أكثر آماناً[7] ، وأدى ذلك إلى سقوط دمياط بيد الفرنج بدون مقاومة ، وكان ذلك كارثة فضيعة حلت بالدولة الأيوبية[8] .

2 . تسليم القدس (627هـ/1229م) :

---

(1) ابن دقماق ، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت809هـ/1406م) ، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، تحقيق : محمد كمال الدين عز الدين علي ، ط1 ، عالم الكتب ، (بيروت – 2007م) ، ج2 ، ص257 .

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص128 ؛ طقوش ، تأريخ الممّاليك في مصر وبلاد الشام ، ط3 ، دار النفائس ، (بيروت – 2010م) ، ص25 .

(3) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص301 ؛ عاشور ، مصر والشام ، ص78 .

(4) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص301 ؛ طقوش ، تأريخ الممّاليك ، ص25 .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص128 ؛ عاشور ، مصر والشام ، ص78 .

(6) إذ نجح في إبعاد ابن المشطوب إلى بلاد الشام وسجن في قلعة حران ونفى الملك الفائز إلى الموصل إذ قُتل سنة (617هـ) . ينظر : المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص195 ؛ غنيم ، الدولة الأيوبية ، ص78 .

(7) ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص150 ؛ قاسم ، الأيوبيون والممّاليك ، ص93 .

(8) الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص164 ؛ العريني ، الشرق الأدنى ، ص122 .

ظهر صراع جديد بين أفراد الأسرة بعد الانتصار على الصليبيين على الأراضي المصرية ، إذ اتفق الملك الكامل مع أخيه الأشرف موسى(576-635هـ/1181-1237م) على اقتسام أملاك أخيه الملك المعظم عيسى(576-624هـ/1180-1226م)[1] ، وبدأ الاثنان يستعدان للهجوم على أملاك صاحب دمشق ، وأدرك المعظم عيسى أنه لا يستطيع مواجهة هذا التحالف[2] ، فبدأ يبحث عن حليف جديد له خارج البيت الأيوبي[3] ، فوجد ضالته في الدولة الخوارزمية التي كانت دائماً تحاول أن تحسم الصراع لصالحها من خلال توسيع نفوذها في بلاد الجزيرة[4] ، وانضم إلى الملك المعظم عيسى أيضاً كلاً من صاحب أربل[5] وخلاط[6] ، بينما ضمت الجهة المقابلة كلاً من الملك الكامل وأخيه الأشرف موسى وبدأ الصدام المسلح بين الطرفين ، وكانت كل جبهة تحاول كسب الصراع لمصلحتها ، لكنَّ الملك الكامل حول الصراع إلى صراع إقليمي[7]، إذ طلب المساعدة من الإمبراطور الالماني فردريك الثاني (Fredrik II) (591-648هـ/1194-1250م) ، لكي ينضم إلى جانبه ضد أخيه الملك المعظم عيسى مقابل منحه بيت المقدس[8] ، لكنَّ وفاة الملك المعظم عيسى سنة (624هـ/1227م) غيرت من مواقف الملك الكامل الذي نجح في حسم الصراع لمصلحته بعد وفاة أخيه[9] ، إذ أن

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص166 ؛ عاشور ، مصر والشام ، ص82 .

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص195 ؛ ماجد ، الدولة الأيوبية ، ص175 .

(3) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص310 ؛ العريني ، الشرق الأدنى ص124 .

(4) لأن التتار أخذت بلاد الخوارزم فأراد الأمير جلال الدين وهو سلطان الخوارزم البحث عن منطقة آمنة لنفسه بعد أن انهارت دولته على يد جنكيز خان سنة (617هـ/1220م) ، ينظر : الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص192 .

(5) أربل : مدينة كبيرة في فضاء من الارض الواسعة ، لها قلعة حصينة ذات خندق عميق في طرف المدينة ينقطع سور المدينة في نصفها ، وهي على تلٍ عالٍ عظم من تراب وفيها أسواق ومنازل للرعية وهي شبيهة بقلعة حلب إلا أنها اكبر واوسع وتقع في شمال العراق ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص51 .

(6) الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص194 ؛ العريني ، الشرق الأدنى ص125 .

(7) الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص195 ؛ عبد المنعم ، الدولة الأيوبية ، ص176 .

(8) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص221-222 ؛ عاشور ، مصر والشام ، ص85 .

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص164 ؛ الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص284 .

خليفة الملك المعظم أبنه الناصر داود كان صغيراً[1] ، ولم يتمكن من مواجهة الملك الكامل فاستولى الملك الكامل على املاك الملك الناصر داود بن المعظم عيسى(603-656هـ/1206-1258م)[2] ، حدثت هذه التطورات والإمبراطور الألماني لم يصل بعد إلى بلاد الشام ، وكان الإمبراطور الألماني يخوض صراعاً مع البابا في أوربا حول من هو السلطان الأكبر في أوربا[3] ، لذا حاول الإمبراطور كسب الصراع مع البابا من خلال إحراز نصر خارجي من خلال تلبية طلب الملك الكامل ، لكي يستعيد بيت المقدس بعيداً عن مباركة البابا جريجوري السابع (Gregory IX) (624-638هـ/1227-1241م)[4] ، وأبحر الإمبراطور في حملة صليبية جديدة لكنَّ هذه المرة كانت القوات الصليبية صغيرة جداً وكان ذلك سنة (625هـ/1228م)[5] ، لأنَّ الإمبراطور جاء لمساعدة الملك الكامل ضد الملك المعظم عيسى ، لكنَّ نجاح الملك الكامل في حسم الصراع لمصلحته جعل الملك الكامل يتراجع عن وعوده للإمبراطور الألماني[6] ، الذي فضل الدخول في مفاوضات شاقة مع الملك الكامل وانتهت بتوقيع على صلح يافا في (ربيع الأول 627هـ/شباط1229م)[7] ، ونصت على تسليم القدس للصليبيين لترضية الإمبراطور الألماني[8] ، وكان ذلك صدمة كبيرة للمسلمين ، لكنَّ صراع السلطة داخل البيت الأيوبي جعلتهم (الأسرة الأيوبية) يتنازلون عن مقدسات الأمة لأجل مصالحهم الشخصية[9] ،

---

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص224 ؛ غنيم ، الدولة الأيوبية ، ص92 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص166 ؛ العريني ، الشرق الأدنى ص126 .

(4) الأبنرور : اسم الإمبراطور فردريك الثاني ، كما جاء لدى الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص311 ؛ عاشور ، مصر والشام ، ص86 .

(5) لم يكتفِ الكامل بتسليم بيت المقدس إلى الانبرور ، بل أنه هاجم دمشق وقتل جماعة من الناس ونهب جيشه أجزاء من الغوطة ، ثم قام بمهاجمة حماه ، ينظر : الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص197 .

(6) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص228 ؛ عاشور ، مصر والشام ، ص86 .

(7) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص172 ؛ العريني ، الشرق الأدنى ، ص126 .

(8) الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص197 ؛ غنيم ، الدولة الأيوبية ، ص94 .

(9) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص312 ؛ قاسم ، الأيوبيين والممّاليك ، ص98 .

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص166 .

وكان رجوع فردريك الثاني دون تنفيذ وعود الكامل يعني خسارة صراعه مع البابا في أوربا حول السلطة[1] .

3 . سقوط الدولة الأيوبية (648هـ/1250م) :

إندلع صراع جديد بين أبناء الملك الكامل محمد وأخوته بعد وفاته سنة (635هـ/1238م)[2] ، إذ ظهر صراع محتدم بين أفراد الأسرة الأيوبية حول من يخلف الملك الكامل وفي النهاية تم الاتفاق على مبايعة أبو بكر الابن الأصغر للكامل محمد(635-637هـ/1237-1239م)[3] ، وهذا لا يستبعد أن تكون مبايعة هذا الطفل خطة لأجل زرع بذور الصراع بشكل دائم خدمة لمصلحة الخاصة لبعض الأمراء الأيوبيين[4] ، ولهذا لم تنعم الدولة في عهد هذا الملك الضعيف بالسلم والأمان ، إذ سرعان ما اندلعت الحروب بين أبناء الكامل وأخوته[5] ، وقد أخطأ الكامل حينما لم يعهد إلى أبنه الصالح أيوب (637-647هـ/1237-1249م) وكان بذلك يستطيع ان يبعد الدولة عن الحروب والانقسامات ويجعلها متماسكة وقوية[6] ، وعلى كلٍّ حال فقد نجح الأمير الصالح أيوب في الاستيلاء على السلطة بمساعدة الممّاليك الاتراك الذين خلعوا العادل الثاني سنة (637هـ/1237م) ، وأصبح بذلك سلطاناً على بني أيوب ليبدأ بولايته عهداً جديداً في تأريخ الدولة الأيوبية[7] ، وكان يحمل معه آخر آمال الأيوبيين في الحكم ، لكنَّه أُجبر على الدخول في صراع طويل على الجبهتين الداخلية والخارجية ، إذ اندلع بينه وبين الصالح إسماعيل بن العادل (637-647هـ/1239-1249م) صراع مرير

---

(2) المصدر نفسه ، ج13 ، ص166 .

(3) ابن دقماق ، سير الملوك والسلاطين ، ج2 ، ص259 ؛ حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مطبعة النهضة المصرية ، (القاهرة – 1967م) ، ج4 ، ص114 .

(4) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص261 ؛ عاشور ، مصر والشام ، ص97 .

(5) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص197 ؛ العريني ، الشرق الأدنى ، ص133 .

(6) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص270 ؛ قاسم ، الأيوبيون والممّاليك ، ص99 .

(7) كان هناك صراع خفي بدء يطفو على السطح بين زوجة الكامل وهي أم ولده الأصغر العادل وبين أبنه الصالح نجم الدين أيوب ، واستطاعت زوجة الكامل أن تنتصر على الملك الصالح ، ينظر : المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص238 .

(8) الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص229 ؛ عاشور ، مصر والشام ، ص97 .

حول أحقية أيهما في السلطنة[1] ، لكنَّ الصالح أيوب نجح في حسم الصراع لمصلحته مع الصالح إسماعيل[2] ، وبقي أمام السلطان العدو الأكبر المتمثل بالصليبيين ، فنجح في استعادة بيت المقدس من أيديهم عن طريق استخدام الخوارزمية[3] ، لأنَّ الصالحَ إسماعيل كان قد عقد مع الصليبيين معاهدة مخزية تضمنت التنازل عن جميع الأراضي التي حررها صلاح الدين مقابل مساعدة الصليبيين للصالح إسماعيل ضد الصالح أيوب ، وبالفعل دخل الصليبيون بيت المقدس سنة (641هـ/1233م)[4] ، لكنَّ الجيش الخوارزمي نجح في استعادة المدينة سنة (642هـ/1234م) من الصليبيين[5] ، لكنَّ الصليبيون عوضوا ذلك بالهجوم على دمياط سنة (647هـ/1239م)[6] ، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ نجاح الصالح أيوب على الساحتين الداخلية والخارجية كان بداية لانهيار الدولة الأيوبية ، لأنه اضطر إلى استخدام الممّاليك الأتراك بشكلٍ كبيرٍ[7] ، وبمرور الوقت أصبحت لديهم الخبرة الكبيرة في الإدارة والحروب ، وكان لهم دورٌ كبيرٌ في حسم الصراعات الداخلية بين الأمراء الأيوبيين[8] ، حتى أن ذلك زرعت في عقولهم التفكير في الاستيلاء على الدولة بسبب ضعف الأمراء الأيوبيين من جهة واستنجادهم بالصليبيين ضد أخوانهم من جهة ثانية[9] ، وجاءتهم الفرصة المناسبة عندما توفي

---

(1) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص200 ؛ العريني ، الشرق الأدنى ، ص139 .

(2) الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص242 ؛ قاسم ، الأيوبيين والممّاليك ، ص100 .

(3) الخوارزمية : نسبة إلى اقليم خوارزم وعلى نهر جيحون ، ويعود تأسيس هذه الدولة إلى قطب الدين محمد بن انوشتكين سنة (490هـ) ، واستطاع ابنه علاء الدين بن قطب الدين ان يستقل بالاقليم بسبب ضعف السلاجقة سنة (532هـ) وحصل من الخليفة العباسي المقتفي بامر الله تفويض بالحكم بعد انهيار السلاجقة ، وانهارت هذه الدولة على يد جنكيز خان سنة (618هـ) ، ينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص286 ؛ قاسم ، الأيوبيين والممّاليك ، ص102 .

(4) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص209 ؛ عاشور ، مصر والشام ، ص100 .

(5) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص412 ؛ العريني ، الشرق الأدنى ، ص141 .

(6) الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص256 ؛ قاسم ، الأيوبيون والممّاليك ، ص105 .

(7) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص203 ؛ غنيم ، الدولة الأيوبية ، ص101 .

(8) ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ، ص413 ؛ العريني ، الشرق الأدنى ، ص140 .

(1) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج3 ، ص286 ؛ عاشور ، مصر والشام ، ص100 .

السلطان الصالح نجم الدين أيوب سنة (شعبان648هـ/تشرين الثاني1249م)[1] ، وترك خلفه أبنه الملك المعظم تورانشاه (محرم 648 هـ/ايار1250م) الذي كان بعيداً عن الجو المضطرب في العالم الإسلامي آنذاك ، فكان أشبه بالعضو الغريب في جسم الإنسان ، ممّا أدى إلى نبذهِ وقتلهِ على يد ممّاليك أبيه[2] ، ولأنَّ تورانشاه كان جاهلاً بكيفية إدارة الصراع مع الممّاليك الأتراك لمصلحته ، نجح الممّاليك الأتراك في القضاء على دولة أسيادهم (الدولة الأيوبية)[3] .

(2) ابن دقماق ، سير الملوك والسلاطين ، ج2 ، ص268 ؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ج4 ، ص114.

(3) الذهبي ، العبر ، ج3 ، ص259 ؛ عاشور ، مصر والشام ، ص115 .

(4) ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص220 ؛ غارودي ، روجيه ، الإسلام ، ترجمة : وجيه اسعد ، ط2 ، دار عطية ، (بيروت – 1997م) ، ص72 .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على توفيقه ومنه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه محمد وآله وصحبه وسلم , بعد أن أكملت هذه الرسالة بفضل الله سبحانه وتعالى , التي تناولت الصراع الذي ظهر بين أبناء صلاح الدين وأخوته بعد وفاته حول السلطة وأثره على الحروب الصليبية ، توصلت هذه الدراسة الى أهم النتائج :

1. يعتبر صلاح الدين المسؤول الحقيقي لنشؤ هذا الصراع الذي ظهر بعد وفاته ، لأنه سمح لعاطفته أن تتغلب على عقله عندما جعل أبنه الأفضل خليفة له على الرغم من عدم أهلية الأخير لذلك .
2. كان على صلاح الدين أن يعهد بالسلطة من بعده للملك العادل لأنه يمتلك خبرة كبيرة في إدارة الدولة ، وكان بهذا العمل يدعم نفوذ الأسرة الأيوبية ويبعد عنها المشاكل والفتن والحروب الداخلية ، ويعمل على إدامة الدولة الأيوبية لفترة أطول مما يساعد على استمرارية المشروع الجهادي الذي بدء من عهد زنكي لم يعمل صلاح الدين على استغلال براعة الملك العادل في السياسة والتي كانت سياسة ميكافيللية ، وهي السياسة التي تناسب الفرنج الملاعين ، بل أن صلاح الدين حاول قتل موهبة هذا الداهية عندما جعله على مناطق ثانوية ، وعندما جاءت الفرصة المناسبة للملك العادل لكي يظهر براعته في السياسة انشغل بالحروب الداخلية مع أبناء أخيه ، فلهذا اضطر الى إتباع سياسة المهادنة لكي يحافظ على الدولة الأيوبية .
3. أصبح الصراع على السلطة سمة بارزة في تأريخ الدولة الأيوبية ، ولم يتوقف هذا الصراع حتى سقوط الدولة .
4. لقد أبرزت الحملات الصليبية أهمية مصر لتنفيذ مخططاتهم العدوانية في المستقبل التي تستهدف الأمة الإسلامية ، وتأكد لديهم أن السيطرة على هذا البلد ضرورة وقاعدة رئيسية لتعزيز نفوذهم في هذه المنطقة .
5. لقد مهد ال ايوب الطريق بشكل غير مباشر أمام المماليك لكي يحملوا راية الجهاد من بعدهم فتحملوا المسؤولية على احسن طريقة.

6. كان صلاح الدين قائد تكتيكي لهذا نشاهده في مقدمة الجيش وهو المكان الصحيح للقادة البارزين, لكن وفاته ادى الى ظهور فراغ كبير من بعده لم يستطع اي فرد من عائلته ان يسد ذلك الفراغ.
7. رضي أمراء بني أيوب أن يعيشوا بالذل والانصياع لغيرهم مقابل تحقيق أهدافهم الخاصة على حساب أهداف الأمة ، لهذا تخلوا عن الجهاد في سبيل الله ضد الفرنج فأنتشرت بينهم الأحقاد والكراهية .
8. ادى غياب صلاح الدين عن اهله بأستمرار بسبب كثرة الحروب مع الصليبين الى عدم معرفته بمؤهلات ابنائه وهذا ما نلاحظه من خلال أختياره للأفضل علي لكي يتولى السلطنة.

وأخر دعوانا أن الحمدَ للهِ ربَ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين

الباحث

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

أولاً . المخطوطات :

❖ العمري ، ياسين خير الله

1. الدر المكنون في المآثر الماضين عبر القرون ، مخطوطة المجمع العلمي العراقي ، تسلسل776 .

ثانياً . المصادر الأولية :

❖ ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/1233م)

2. التاريخ الباهر في الدول الاتابكية في الموصل ، تحقيق : عبد القادر طليمات ، (القاهرة – 1963م) .

3. الكامل في التاريخ ، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1987م) .

❖ ابن إياس ، محمد بن احمد الحنفي (ت930هـ/1503م)

4. نزهة الأمم في العجائب والحكم ، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب ، ط1 ، مطبعة مدبولي ، (القاهرة– 1995م) .

❖ ابن بطوطة ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت779هـ/1378م)

5. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) ، تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت – 1992م) .

❖ البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت1093هـ/1682م)

6. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – 1983م) .

❖ ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/1469م)

7. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1992م) .

❖ ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي (ت614هـ/1217م)

8. تذكرة بالأخبار على اتفاقات الأسفار (رحلة ابن جبير) ، دار صادر ، (بيروت – 1964م) .

❖ ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م)

9. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1993م) .

❖ الحجاري ، عبد الله بن ابراهيم (بلا وفاة)

10. النجوم الزاهرة في حُلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المعرب في حُلى المغرب ، تحقيق : حسين نصار دار الكتب ، مركز تحقيق التراث ، (القاهرة – 1970م) .

❖ ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت852هـ/1448م)

11. إنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق : حسن حبشي ، (القاهرة – 1969م) .

❖ الحنبلي ، احمد بن إبراهيم (ت876هـ/1471م)

12. شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق : ناظم رشيد ، مطبعة وزارة الثقافة والفنون ، (بغداد – 1978م) .

❖ ابن حوقل ، أبو القاسم النيصيبي (ت367هـ/977م)

13. صورة الأرض ، دار صادر ، (بيروت – 1928م) .

❖ الخزرجي ، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس الزبيدي (ت812هـ/1409م)

14. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ، ط1 ، مطبعة الهلال ، (مصر – 1983م) .

❖ ناصر خسرو ، الدين علوي (ت431هـ/1039)

15. سفر نامة ، ترجمة : يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية ، (القاهرة – 1993م) .

❖ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت808هـ/1405)

16. العبرو ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : خليل شحاذة ، دار الفكر ، (بيروت – 2000م) .

❖ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1282م)

17. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت – 1968م) .

❖ الخياط ، علم الدين سنجر السروري الصالحي (ت695هـ/1295م)

18. المختصر من الكامل في التاريخ وتكملته ، تحقيق : عبد السلام تدمري ، ط1 ، المكتبة العصرية ، (بيروت – 2002م) .

❖ ابن دقماق ، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت809هـ/1406م)

19. الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، تحقيق : محمد كمال الدين عز الدين علي ، ط1 ، عالم الكتب ، (بيروت – 2007م) .

❖ بن ايبك الدواداري ، ابو بكر بن عبد الله (ت736هـ/1235م)

20. كنز الدرر وجامع الغرر الجزء السابع منه يعرف بأسم (الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب) ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، المعهد الألماني للآثار ، (القاهرة – 1972م) .

❖ الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)

21. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت – 2003م) .

22. سير اعلام النبلاء ، تحقيق : بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1984م) .

❖ الرومي ، أبو الحسن علي بن أبي عبد الله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن (توفى في القرن السابع الهجري)

23. بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة – بلات) .

❖ الزبيدي ، المرتضى (ت1205هـ/1790م)

24. ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مجمع اللغة العربية ، (دمشق – 1969م) .

❖ ابن سباط ، حمزة بن احمد بن عمر (ت926هـ/1519م)

25. صدق الأخبار ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، جروس برس ، (لبنان – بلات) .

❖ سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزادغلي التركي (ت654هـ/1256م)

26. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط1 ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، (الهند – 1952م) .

❖ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م)

27. تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد احمد عيسى ، ط1 ، دار الغد الجديد ، (القاهرة – 2007م) .

❖ أبو شامة المقدسي ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت665هـ/1266م)

28. تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف (بالذيل على الروضتين) ، تحقيق : محمد زاهد الحسن الكوثري ، ط2 ، دار الجيل ، (بيروت – 1974م) .

29. عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : إبراهيم الزيبق ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت –1997م) .

❖ ابن شداد ، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت632هـ/1234م)

30. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، ط1 ، مكتبة الخانجي (القاهرة – 1994م) .

❖ ابن شداد ، محمد بن علي بن إبراهيم (ت684هـ/1285م)

31. الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق : يحيى زكريا عبارة ، ط1 ، وزارة الثقافة ، (دمشق – 1991م) .

❖ الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ/1153م)

32. الملل والنحل ، تحقيق : احمد فهمي محمد ، ط8 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2009م) .

❖ الصديقي ، محمد بن سرور البكري (ت1087هـ/1676م)

33. النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، تحقيق : عبد الرزاق عيسى ، ط1 ، مطبعة العربي ، (القاهرة – 1998م) .

❖ بن أيبك الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك عبدالله (ت764هـ/1362م)

34. تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، تحقيق : إحسان بن سعد خلوصي وزهير حميدان الصمام ، وزارة الثقافة السورية ، (دمشق – 1992م) .

35. الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، مكتبة التراث العربي ، (بغداد – 1978م) .

❖ ابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/1309م)

36. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، (بيروت – بلات) .

❖ ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت739هـ/1338م)

37. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، (بيروت – 1992م) .

❖ ابن العبري ، غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون بن توما الملطي (ت685هـ/1286م)

38. تاريخ مختصر الدول ، تحقيق : أنطوان صالحاني اليسوعي ، ط2 ، مطبعة دار الرائد ، (بيروت – 1994م) .

❖ ابن العديم ، كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت660هـ/1261م)

39. زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق : سامي الدهان ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة – 1997م) .

❖ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت1089هـ/1678م)

40. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري ، (بيروت – بلات) .

❖ عماد الدين الأصبهاني ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الكاتب (ت597هـ/1200م)

41. البرق الشامي ، تحقيق : فالح صالح حسن ، ط1 ، مؤسسة عبد الحميد شومان ، (الأردن – 1987م) .

42. خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق محمد بهجت الأثري وجميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد – 1955م) .

43. الفتح القسي في الفتح القدسي ، ط1 ، دار المنار ، (القاهرة – 2004م) .

❖ ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/1148م)

44. الأنباء في تأريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السيد احمد السامرائي ، دار الآفاق العربية ، (القاهرة – 1999م) .

❖ ابن العميد ، المكين جرجيس بن أبي المكارم بن أبي الطبيب النطرني (ت672هـ/1273م)

45. أخبار الأيوبيين ، مكتبة الثقافة الدينية ، (بورسعيد – بلات) .

❖ العيني ، بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد بن موسى بن احمد بن الحسين بن يوسف بن محمود (ت855هـ/1451م)

46. السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، تحقيق : فهيم محمد علوي شلتوت ، ط2 ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة – 1998م) .

❖ أبو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1331م)

47. التبر المسبوك في تواريخ الملوك ، تحقيق ، محمد زينهم محمد عزب ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة – 1995م) .

48. تقويم البلدان ، تصحيح : رينود المدرس والبارون ماك كوكين ديسلان ، الدار السلطانية ، (باريس – 1850م) .

49. المختصر في تاريخ البشر ، تحقيق : محمد زينهم عزب دار المعارف ، (القاهرة – 1999م) .

❖ ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحيم بن علي بن احمد بن محمد بن عبد العزيز الحنفي المصري المعروف بالشيخ ناصر الدين (ت807هـ/1404م)

50. تاريخ الدول والملوك ، تحقيق : حسن محمد الشماع ، (البصرة – 1970م) .

❖ ابن الفقيه ، أبو بكر احمد بن محمد الهمداني (ت أواخر ق3هـ)

51. مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1302هـ) .

❖ ابن الفوطي ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق البغدادي (ت723هـ/1323م)

52. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة المنسوب ، تحقيق : مصطفى جواد ، المكتبة الفرات ، (بغداد – 1351هـ) .

❖ القرماني ، احمد بن يوسف (ت1019هـ/1610م)

53. أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، تحقيق : احمد حطيط وفهمي سعد ، ط1 ، عالم الكتب ، (بيروت – 1992م) .

❖ ابن القلانسي ، حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو يعلي التميمي الدمشقي الكاتب(ت555هـ/1160م)

54. تاريخ ابن القلانسي (ذيل تاريخ دمشق) ، مكتبة المتنبي ، (القاهرة – 1999م) .

❖ القلقشندي ، احمد بن علي بن احمد (ت821هـ/1418م)

55. صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، دار الكتب الخديوية ، المطبعة الأميرية ، (القاهرة – 1914م) .

56. المختار من كتاب صبح الأعشى في كتابة الانشا ، تحقيق : عبد القادر زكار ، مطبعة وزارة الثقافة ، (دمشق – 1983م) .

❖ ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن احمد (ت697هـ/1297م)

57. مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى الدولة العباسية ، تحقيق : مصطفى جواد ، مطبعة وزارة الأعلام ، (بغداد – 1970م) .

❖ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت774هـ/1372م)

58. البداية والنهاية ، تحقيق : محمد بن سامح عمر ، ط1 ، دار ابن الجوزي ، (القاهرة – 2009م) .

❖ مجير الدين الحنبلي ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد المقدسي (ت927هـ/1520م)

59. الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، دار الجيل ، (عمان – 1973م) .

❖ مغلطاي ، علاء الدين بن قلنج بن عبد الله البكجري الحنفي (ت762هـ/1360م)

60. مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق : آسيا كليبان علي البارح ، ط1 ، دار الفجر ، (القاهرة – 2001م) .

❖ المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م)

61. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، وزارة الثقافة ، (القاهرة – 1997م) .

62. الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين شيال و سعيد عبدالفتاح عاشور ، ط1 ، مؤسسة الثقافة الدينية ، (القاهرة – 2000م) .

63. السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، ط2 ، لجنة التأليف والترجمة ، (القاهرة – 1956م) .

❖ المنصوري ، بيبرس (ت725هـ/1324م)

64. مختار الأخبار ، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ ، الدار المصرية اللبنانية ، (القاهرة – 1993م) .

❖ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1297م)

65. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية ، (القاهرة – 1957م) .

❖ ابن الوردي ، عمر (ت749هـ/1348م)

66. تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتأريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، (النجف الاشرف – 1969م) .

❖ ابن الوكيل ، يوسف الملواني (ت1131هـ/1718م)

67. تحفة الأحباب بمن ملك مضر من الملوك والنواب ، تحقيق : محمد الشناوي ، ط1 ، دار الآفاق العربية ، (القاهرة – 1999م) .

❖ اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت768هـ/1366م)

68. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1997م) .

❖ ياقوت الحموي ، أبو عبد الله بن عبد الله البغدادي (ت626هـ/1228م)

69. معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت – 1960م) .

ثانياً . المراجع الحديثة :

❖ إبراهيم ، محمود

70. حطين بين أخبار مؤرخيها وشعر معاصريها ، ط1 ، دار البشير ، (عمان – 1987م) .

71. نهاية المطاف ، ط2 ، مطبعة الشعب ، (القاهرة – 1978م) .

❖ احمد ، جمال رشيد

72. ظهور الكورد في تاريخ دراسة شاملة عن خليفة الأمة الكوردية ومهدها ، دار ئاراس ، (اربيل – 2003م) .

73. الدولة الأيوبية والصليبيون ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية – 1990م) .

❖ الأمين ، حسن

74. صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين ، ط1 ، الدار الجديد ، (بيروت – 1995م) .

❖ الأنصاري ، ناصر

75. المجمل في تاريخ مصر السياسي والإداري ، ط1 ، دار الشروق ، (القاهرة – 1991م) .

❖ الأهل ، عبد العزيز سيد

76. أيام صلاح الدين ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، (القاهرة – 1964م) .

❖ أيوب ، إبراهيم

77. التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ط1 ، الشركة العالمية ، (بيروت – 1989م) .

❖ البخيت ، محمد عدنان

78. مملكة الكرك في العهد المملوكي ، ط1 ، مكتبة الجامعة الأردنية ، (عمان – 1998م) .

❖ بدر ، مصطفى طه

79. محنة الاسلام الكبرى او زوال الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة ، (القاهرة – 1999م) .

❖ بدوي ، عبد الرحمن

80. مذاهب الإسلاميين ، ط3 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 2008م) .

❖ بهجت ، منى محمد بدر محمد

81. أثر الحضارة السلجوقية في شرق العالم الإسلامي عل الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر ، مكتبة زهراء الشرق ، (القاهرة – 2002م).

❖ بيضون ، إبراهيم

82. تاريخ بلاد الشام إشكالية الموقع والدور في العصور الإسلامية ، دار المنتخب العربي ، (بيروت – 1995م) .

❖ بيطار ، غيد الياس

83. اللاذقية عبر الزمن من عصر ما قبل التاريخ الى عام 1963م ، دار المحبة ، (دمشق – 1963م) .

❖ بيومي ، علي

84. قيام الدولة الأيوبية في مصر ، ط1 ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – 1952م) .

❖ تاوضروس ، اسحاق عبيد

85. روما وبيزنطة من قطيعة فوشبوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين (869–1204م) ، دار المعارف ، (مصر – 1970م) .

❖ الجميلي ، رشيد

86. دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي (541–631هـ) ، ط2 ، دار النهضة العربية ، (بيروت – 1975م) .

❖ الجندي ، محمد سليم

87. تاريخ معرة النعمان ، تحقيق : عمر رضا كحالة ، ط2 ، مطبعة وزارة الثقافة السورية ، (دمشق – 1994م) .

❖ جودة ، صادق احمد داود

88. مجاهد الدين قايماز نائب إربد والموصل (559–595هـ) ، ط1 ، دار عمار ، (بيروت – 1985م) .

❖ الجيلاني ، إبراهيم بدوي

89. الحملات الحربية في فلسطين ، المكتب العربي للمعارف ، (القاهرة – 1998م) .

❖ حسن ، حسن إبراهيم

90. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مطبعة النهضة المصرية ، (القاهرة – 1967م) .

❖ حسين ، محسن محمد

91. اربيل في العهد الاتابكي ، مطبعة اسعد ، (بغداد – 1976م) .

❖ أبو حديد ، محمد فريد

92. أمتنا العربية ، دار المعارف ، (مصر – 1961م) .

❖ الحريري ، سيد علي

93. الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، ط3 ، مطبعة الزهراء للأعلام ، (القاهرة – 1985م) .

❖ الحريري ، محمود محمد

94. أسوان في العصور الوسطى ، مطبعة القاهرة الجديدة ، (القاهرة – 1980م) .

95. بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين ، ط1 ، دار المعارف ، (القاهرة – 1992م) .

❖ الحكيمي ، الشيخ محمد رضا

96. بداية الفرق نهاية الملوك ، تعليق : شاكر الإبراهيمي ، ط1 ، دار الفردوس ، (بيروت – 1990م) .

❖ حمادة ، محمد ماهر

97. دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لسورية ومصر (40–922هـ/667–1516م) ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1988م) .

98. وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1982م) .

❖ الحمري ، عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله

99. تاريخ اليمن من كتاب (كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار) ، تحقيق : عبد المحسن مدعج المدعج ، مؤسسة الشراع ، (الكويت – 1992م)

❖ الحياري ، مصطفى

100. مدينة القدس في العصر الفاطمي والفرنجة ، مكتبة عمان ، (عمان – 1994م) .

❖ خان ، ظفر الإسلام

101. تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى أخر غزو صليبي ، ط3 ، دار النفائس ، (بيروت – 1981م) .

❖ الخضري ، الشيخ محمد

102. محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ، تحقيق : إبراهيم أمين ، المطبعة التوفيقية ، (القاهرة – بلات) .

❖ الخوري ، منير عيسى اسعد

103. تاريخ حمص من ظهور الإسلام حتى يومنا هذا سنة 1977م ، مطبعة مطرانية حمص الارثوذكسية ، (سوريا – 1984م) .

❖ الدبس ، المطران يوسف

104. تاريخ سورية الديني والدنيوي ، مراجعة : مارك رعد ، دار نظير عبود (بلام – بلات) .

❖ الدجاني ، احمد صدقي

105. الطريق الى حطين والقدس (احياء الذكرى بعد ثمانية قرون) ، دار البشير ، (عمان – 1992م) .

❖ أبو الدهب ، اشرف طه

106. المعجم الإسلامي ، ط1 ، دار الشروق ، (القاهرة – 2002م) .

❖ ذنون ، عبد الواحد طه ، خليل السامرائي ، ناطق صالح مطلوب

107. تاريخ المغرب العربي ، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، (ليبيا – 2004م) .

❖ الرافعي ، عبد الرحمن

108. عصر محمد علي ، دار المعارف ، (القاهرة – 1989م) .

❖ ربيع ، حسنين محمد

109. دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة المصرية ، (القاهرة – 1983م) .

❖ الربيعي ، عبد الله بن عبد الرحمن

110. أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية ، جامعة الرياض ، (الرياض – 1994م) .

❖ الزركلي ، خير الدين

111. الأعلام ، قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط15 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 2002م) .

❖ زكار ، سهيل

112. حطين مسيرة التحرير من دمشق الى القدس ، ط1 ، دار حسان للنشر ، (دمشق – 1984م) .

113. الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دار الفكر ، (دمشق – 1995م) .

❖ زكار ، سهيل ، أمينة بيطار

114. تاريخ الدولة العربية في الشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد ، ط3 ، مطبعة الجامعة ، (دمشق – 1999م) .

❖ زكي ، عبد الرحمن

115. قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة ، مطبعة نهضة مصر ، (القاهرة – 1960م) .

❖ زيادة ، محمد مصطفى

116. حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة ، ط1 ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، (القاهرة – 2000م).

❖ سالم ، السيد عبد العزيز

117. تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، ط2 ، دار المعارف ، (القاهرة – 1969م) .

❖ سركيس ، خليل بن خطار

118. تاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشليم ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، (بور سعيد – 2001م) .

❖ سليمان ، احمد عبد الكريم

119. العنصرية وأثرها في الجيش المملوكي ، ط1 ، دار النهضة العربية ، (القاهرة – 1988م) .

❖ السيد ، محمود

120. تـاريخ الحـروب الصـليبية ، مؤسسـة شـباب الجامعـة ، (الإسـكندرية – 2002م) .

❖ الشامي ، احمد

121. صـلاح الـدين والصـليبيون تـاريخ الدولـة الأيوبيـة ، ط1 ، مؤسسـة شـباب الجامعة ، (الإسكندرية – 2002م) .

❖ الشرقاوي ، عبد الله بن حجازي

122. تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين ، تحقيق : رحاب عبد الحميد الغازي ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة – 1996م) .

❖ شريك ، موريس

123. التاريخ ، ط1 ، مطبعة جروس برس ، (بيروت – 1994م) .

❖ شعث ، شوقي

124. دراسـات فـي تـاريخ وأثـار فلسـطين ، ط1 ، مطبعـة الأوائـل ، (دمشـق – 2001م) .

❖ الشلبي ، احمد

125. التـاريخ الإسـلامي والحضـارة الإسـلامية ، ط7 ، دار النهضـة المصـرية ، (القاهرة – 1986م) .

❖ شميساني ، حسن

126. مدينة سنجار من الفتح العربي الإسلامي حتى الفتح العثماني ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت – 1983م) .

❖ شيبوب ، صديق

127. معـارك الإسـكندرية ، ط1 ، مطبعـة الوكالـة العربيـة ، (الإسـكندرية – 2000م) .

❖ صائغ ، القس سليمان الموصلي

128. تاريخ الموصل ، المطبعة السلفية ، (مصر – 1923م) .

❖ طقوش ، سهيل

129. تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة (569-661هـ/1174-1263م) ، ط2 ، دار النفائس ، (بيروت – 2008م) .

130. تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، ط3 ، دار النفائس ، (بيروت – 2010م) .

❖ العارف ، عارف باشا

131. تاريخ القدس ، ط2 ، دار المعارف ، (القاهرة – 1951م) .

❖ عاشور ، سعيد عبد الفتاح

132. بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، دار الأحد ، (بيروت – 1977م) .

❖ عامر ، سامية

133. الصليبيون في فلسطين وبلاد الشام ، ط1 ، عين للدراسات ، (القاهرة – 2002م) .

❖ العبادي ، احمد المختار

134. دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية ، (بيروت – 1995م) .

❖ عبد الحميد ، صبحي

135. معارك العرب الحاسمة ، ط1 ، مكتب المنار ، (الكويت – 1967م) .

❖ عبد القادر ، محمد فريد

136. معارك فاصلة في تاريخ الإسلام ، دار المستقبل العربي ، (القاهرة – 1998م) .

❖ عبد المنعم ، حمدي محمد حسين

137. دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية – 2000م) .

❖ عبد المنعم ، صبحي

138. تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح العربي حتى عهد الأيوبيين (21-648هـ) ، الدار العربي ، (القاهرة – 1995م) .

139. العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين ، دار العربي ، (القاهرة – 1993م) .

❖ عزام ، خالد

140. موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العباسي ، ط1 ، دار أسامة ، (عمان – 2006م) .

❖ العزاوي ، عباس

141. شهرزور – السليمانية ، اللواء والمدينة ، ط1 ، مطبعة السالمي ، (بغداد – 2000م) .

❖ عطا ، زبيدة محمد

142. الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، دار الأمين ، (القاهرة – 1994م) .

❖ علي ، علي السيد

143. القدس في العصر المملوكي ، دار الفكر للدراسات ، (القاهرة – 1986م) .

❖ عمران ، محمود سعيد

144. تاريخ الحروب الصليبية (1095–1291م) ، دار المعرفة الجامعية ، (القاهرة – 2000م) .

❖ عودة ، محمد عبد الله ، حكمت عبد الكريم فريحات ، إبراهيم ياسين الخطيب

145. مختصر التاريخ الإسلامي ، (الأردن – 1989م) .

❖ عوض ، محمد مؤنس احمد

146. الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ، ط1 ، دار الشروق ، (عمان – 1999م) .

147. دراسات في الصراع الإسلامي – الصليبي معركة أرسوف (587هـ/1191م) ، ط1 ، مطبعة الهداية ، (الجيزة – 1997م) .

148. في الصراع الإسلامي – الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية (541–569هـ/1146–1174م) ، ط1 ، عين للدراسات ، (القاهرة – 1998م) .

❖ العيسى ، سالم سليمان

149. المعجم المختصر للوقائع التاريخية والعسكرية والاجتماعية والدينية ، ط1 ، دار المنير ، (دمشق – 1998م) .

❖ الغزي ، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحيالي الحنبلي (ت1351هـ)

150. نهر الذهب في تاريخ حلب ، المطبعة المارونية ، (حلب – بلات) .

❖ غنيم ، أسمت

151. دراسات في تاريخ إمبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية – 1991م) .

❖ غيطاس ، محمد

152. حملة اليونسكو وأضواء جديدة على تاريخ النوبة ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية – 1987م) .

❖ الكاتب ، عبد الحميد القدسي

153. الفتح الإسلامي ، الغزو الصليبي ، ط1 ، دار الشروق ، (القاهرة – 1994م) .

❖ كحيلة ، ابو القاسم عبادة بن عبد الرحمن رضا

154. العقد الثمين في تاريخ المسلمين ، ط1 ، مطبعة الكتاب الحديث ، (الكويت – 1996م) .

❖ فرغلي ، إبراهيم

155. الحركة التاريخية في مصر وسوريا خلال القرن السابع الهجري ، ط1 ، دار العربي ، (القاهرة – 2000م) .

❖ الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف

156. بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – بلات) .

157. معالم التاريخ الإسلامي ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – بلات) .

❖ قاسم ، قاسم عبدة

158. الأيوبيون والمماليك ، عين للدراسات ، مطبعة الهداية ، (القاهرة – 1995م) .

159. ماهية الحروب الصليبية (الأيديولوجية ، الدوافع والنتائج) ، عين للدراسات ، (القاهرة – 1993م) .

❖ قساطلي ، نعمان

160. الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، ط2 ، دار الرائد العربي ، (بيروت – 1982م) .

❖ قلعجي ، قدوري

161. صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ، ط1 ، شركة المطبوعات ، (بيروت – 1992م) .

❖ ماجد ، عبد المنعم

162. الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية التاريخ السياسي (567–648هـ/1171–1350م) ، ط2 ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – 1997م) .

❖ محفوظ ، اللواء جمال ، قاسم عبدة قاسم ، سعيد عاشور ، شكري عياد

163. موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات ، (بيروت – 1987م) .

❖ المغلوث ، سامي بن عبد الله بن احمد

164. أطلس الحملات الصليبية ، ط1 ، دار العبيكان ، (الرياض – 2009م) .

❖ النتشة ، رفيق شاكر ، إسماعيل احمد باغي ، عبد الفتاح حسن أبو علية

165. تاريخ فلسطين وجغرافيتها ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات ، (بيروت – 1991م) .

❖ النشرتي ، حمزة ، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي ، عبد الحميد مصطفى
166. السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين وبطل موقعة حطين ، الهيئة المصرية العامة ، (القاهرة – 1994م) .
❖ النقشبندي ، سلام احمد
167. مباحث في تاريخ شهرزور في العصر العباسي ، (بغداد – 2006م) .
❖ الهاشمي ، عبد المنعم
168. صلاح الدين الأيوبي ، ط1 ، دار اليمان ، (الاسكندرية – 1008م) .
❖ هيكل ، محمد حسين
169. الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة ، دار الهلال ، (القاهرة – 1945م) .

ثالثاً . الكتب المترجمة :

❖ باركر ، أرنست
170. الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العريني ، دار النهضة العربية ، (بيروت – 1967م) .
❖ البدليسي ، شرف خان
171. شرفنامة في تاريخ الدول والإمارات الكردية ، ترجمة : محمد علي عوني ، ط4 ، دار الزمان ، (دمشق – 2006م) .
❖ بوول ، ستانلي لين
172. صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس ، ترجمة : فاروق سعد أبو جابر ، ط1 ، مطبعة الأهرام التجارية ، (القاهرة – 1995م) .
❖ حتي ، فيليب
173. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة : جورج حداد وعبد الكريم رامق ، دار الثقافة ، (بيروت – 1950م) .
❖ دفتري ، فرهاد

174. خرافات الحشاشين وأساطير الاسماعليين ، ترجمة : سيف الدين القصير ، مطبعة المدى ، (سوريا – 1996م) .

❖ دوزي ، رينهارت

175. تكملة المعاجم العربية ، ترجمة : محمد سليم النعيمي ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد – 1982م) .

❖ ديفز ،هـ.و

176. أوربا في القرون الوسطى ، ترجمة : عبد الحميد حمدي محمود ، ط1 ، دار المعارف ، (الإسكندرية – 1058م) .

❖ رستون ، جيمس

177. مقاتلون في سبيل الله ، صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة ، ترجمة : رضوان السيد ، مطبعة العبيكان ، (الرياض – 2002م) .

❖ رنسيمان ، ستفين

178. تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، (بيروت – 1997م) .

179. تاريخ الحملات الصليبية ، مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة ، ترجمة : نور الدين خليل ، دار الشروق ، (الإسكندرية – 1998م) .

❖ رُوسي ، إتوري

180. ليبيا منذ الفتح العرب حتى سنة 1911م ، ترجمة : خليفة محمد التليسي ، ط2 ، مكتبة الإسكندرية ، (طرابلس – 1991م) .

❖ زابوروف ، ميخائيل

181. الصليبيون في الشرق ، ترجمة : الياس شاهين ، دار التقدم ، (موسكو – 1986م) .

❖ سوريال ، عزيز عطية

182. الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة : فيليب صابر سيف ، ط2 ، دار الجيل ، (القاهرة – 1990م) .

❖ الصوري ، وليم

183. الحروب الصليبية ، ترجمة : حسن حبشي ، مؤسسة الأهرام ، (القاهرة – 1998م) .

❖ غارودي ، روجيه

184. الإسلام ، ترجمة : وجيه اسعد ، ط2 ، دار عطية ، (بيروت – 1997م) .

❖ الفيتري ، يعقوب

185. تاريخ بيت المقدس ، ترجمة : سعيد البشاوي ، ط1 ، دار الشروق ، (الأردن – 1998م) .

❖ كانتور ، نورمان ، ف

186. التاريخ وسط قصة الحضارة البداية والنهاية ، ترجمة : قاسم عبدة قاسم ، عين للدراسات ، (القاهرة – 1997م) .

❖ كاهن ، كلود

187. الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة : احمد الشيخ ، ط1 ، سينا للنشر ، (القاهرة – 1995م) .

❖ لسترنج

188. بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، المجمع العلمي العراقي ، (بغداد – 1954م) .

❖ موير ، السير وليم

189. تاريخ دولة المماليك في مصر ، ترجمة : محمود عابدين وسليم حسن ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة – 1995م) .

❖ مينورسكي

190. الأكراد ملاحظات وانطباعات ، ترجمة : معروف خزندار ، مطبعة النجوم ، (بغداد – 1968م) .

❖ نتنج ، أنتوني

191. العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام ، ترجمة : راشد البرادي ، مطبعة الانجلو المصرية ، (القاهرة – 1974م) .

❖ هلستر ، س ، ورن

192. أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة : محمد فتحي الشاعر ، مطبعة الانجلو المصرية ، (بور سعيد – 1988م) .

❖ ولز ، هـ.ج

193. معالم تاريخ الإنسانية في المسيحية والإسلام والعصور الوسطى وعصر النهضة ، ترجمة : عبد العزيز توفيق ، ط4 ، الهيئة المصرية للكتاب ، (القاهرة – 1994م) .

رابعاً . الرسائل والاطاريح الجامعية :

❖ خطاب ، ثورة علي

194. موقف بيزنطة من الغزو الصليبي (489–601هـ/1095–1204م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، 2002م .

ملحق (1)

نسب الفاطميين

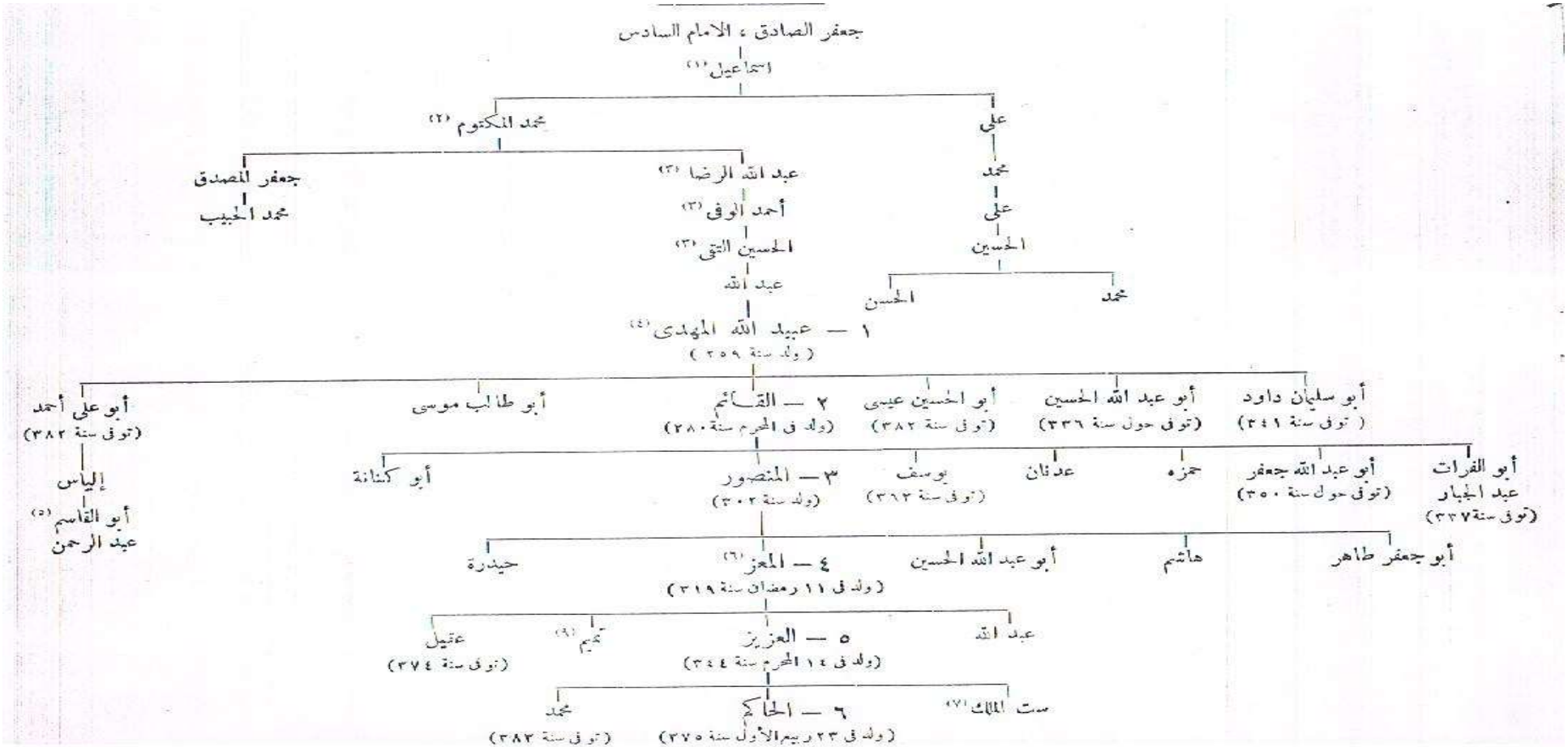

نقلاً عن : زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي

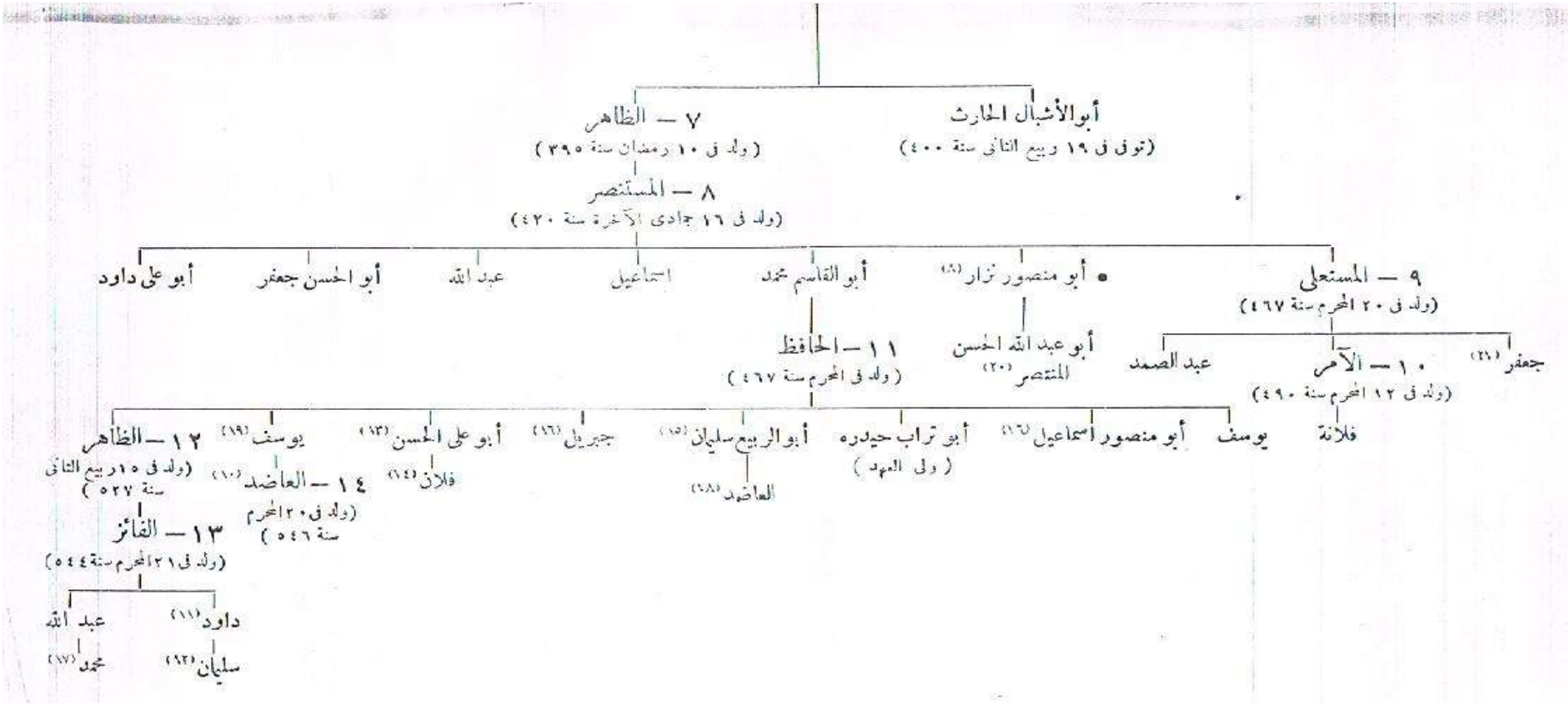

نقلاً عن : زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي

ملحق (2)

نسب آل زنكي

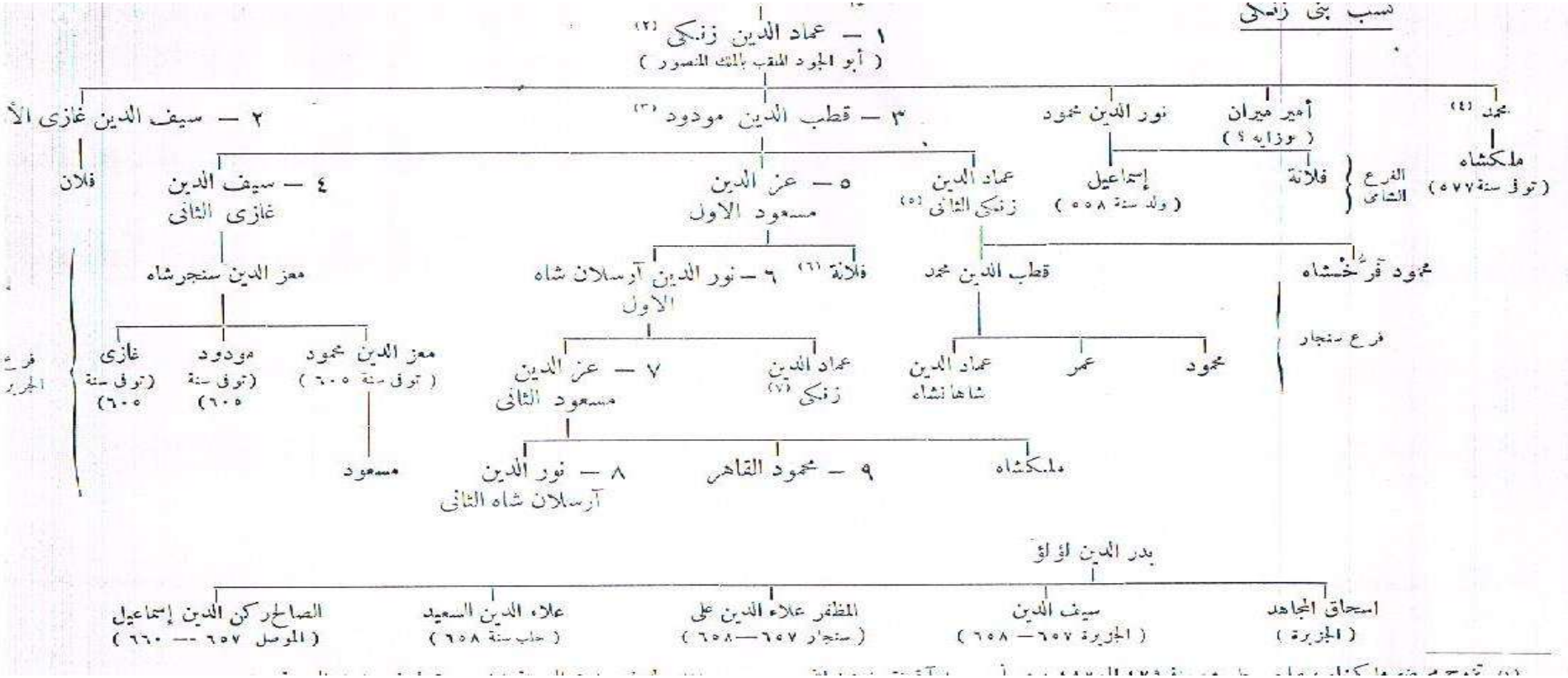

نقلاً عن : زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي

ملحق (3)

نسب الأيوبيين

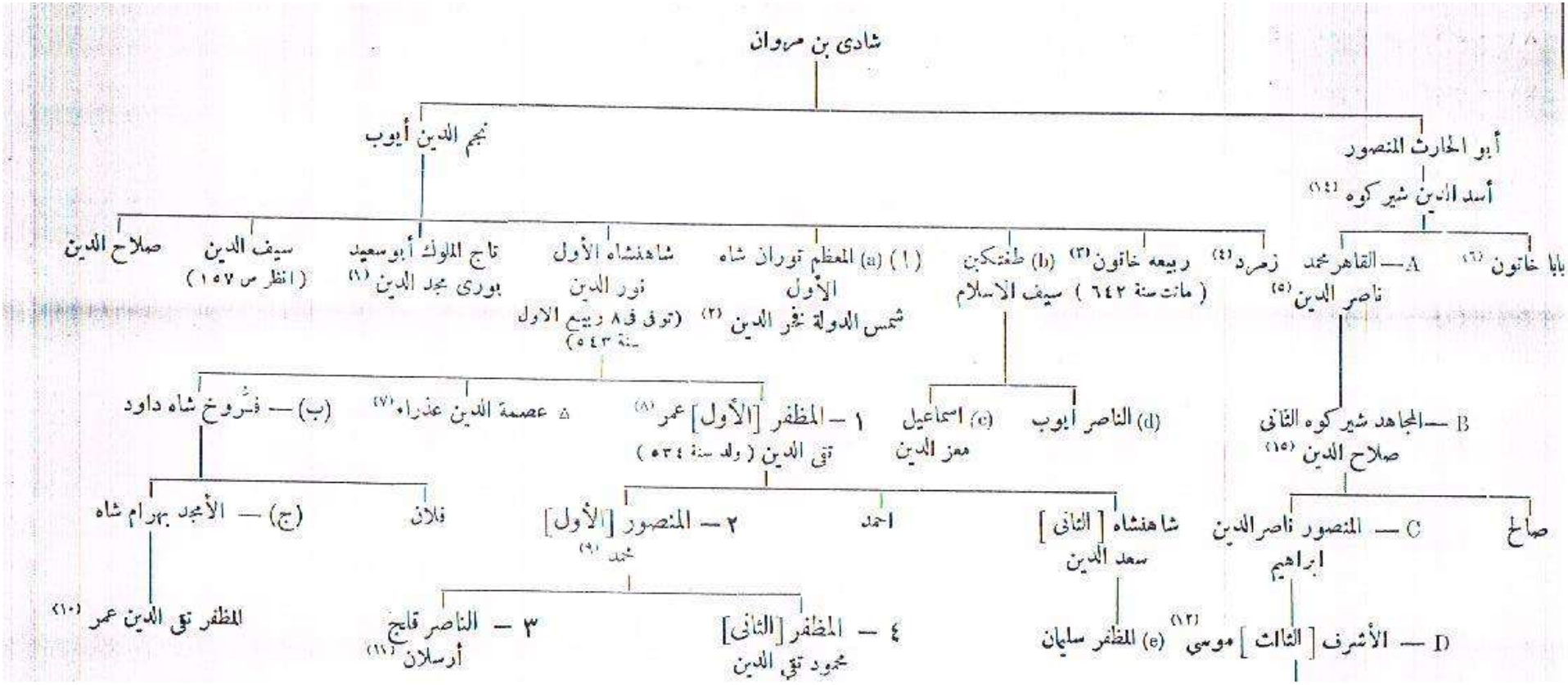

نقلاً عن : زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي

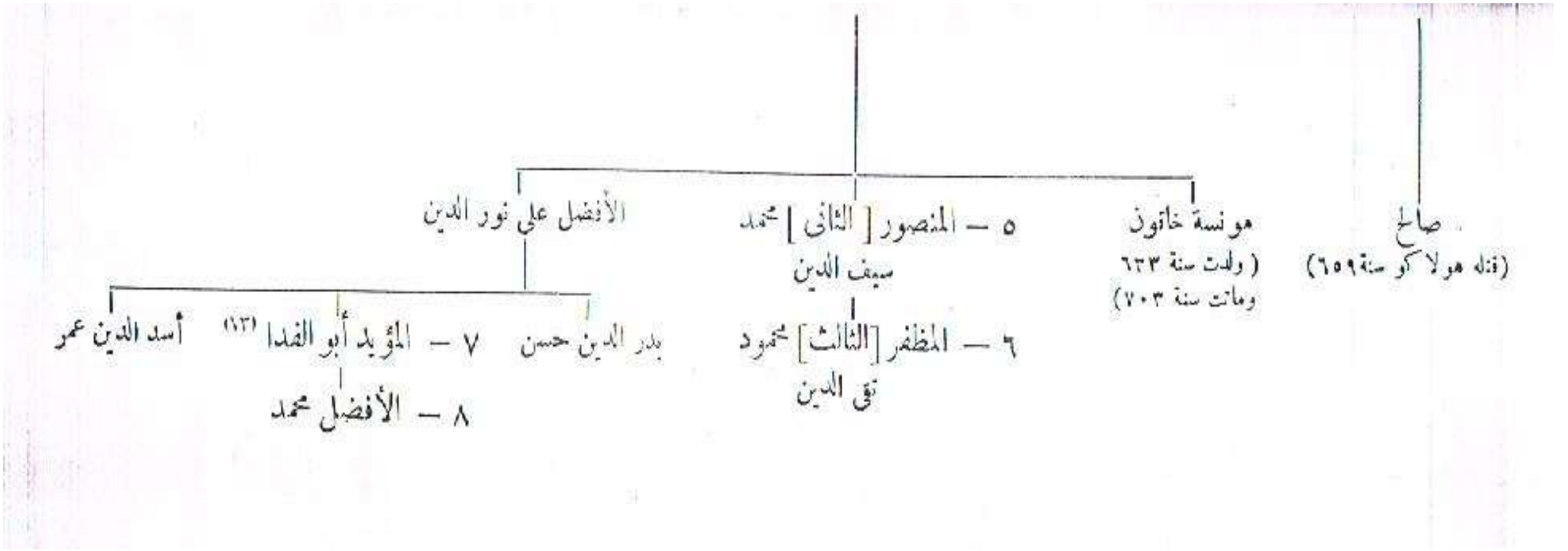

نقلاً عن : زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي

ملحق (4)

خارطة عكا

نقلاً عن المغلوث ، اطلس الحملات الصليبية

ملحق (5)

خارطة سقوط عكا

ملحق (6)

خارطة موقعة حصار دمياط

ملحق (7)

خارطة الحملة الصليبية السابعة على مصر

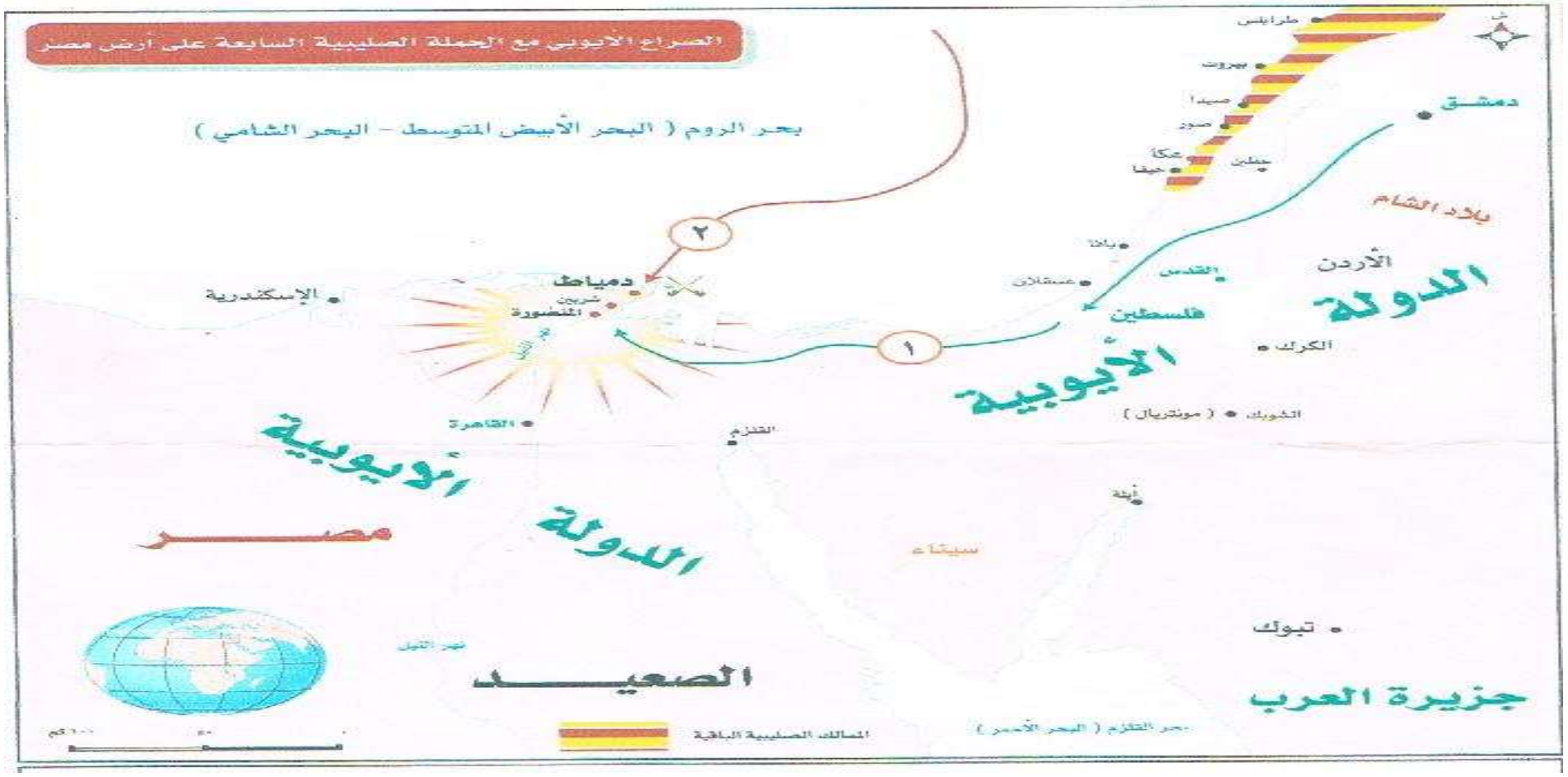

Abstract

Thanks for the GOD " The lord of the worlds " and peace and pray upon our master , the end of prophets " Mohammed " and all his companions , relatives and ever one follow him to the day of judgment.

The history of Ayoubian state has a deep connection and a relation with the crossian wars in the east and it presents a period of time with great effect and a dangerous significance , so the researcher paid more attention about the middle eras and most studies a bout crossian wars focused on the crossian – Islamic contlict (the Ayoubian) . So many studies had been done but in the same time , they neglected or overlooked the attention about the internal struggles related to the Ayoubian side and this was a default by the Moslim researcher , because without it . We couldn't face the thinking and learning from the past of our nation . Therefore , this study came about the Ayoubian conflicts to lighten an important aspect from the aspects of that conflict which some researchers tried to avoid it in order not to scratch the ideal picdure of the history of our nation , although some researchers showed parts of this matter but they weren’t complete ad here comes the importance of this topic .

As for the difficulties which faced me in this concern , they are related with the interference of the topics for crossian wars , them important one from these difficulties is to find independent subject for from the interference of the known crossian wars and events , and that is because the subject is connected with crossian wars , and the reasons behind my chosen for this subject are the following four points :

1. The great role of my respected doctor (Abd Al-Khaliq Khamies) in choosing this topic because he made us love the history of Ayouian state through our study . He showed us the events related to Ayoub family in an exciting and enjoyable way with a simple style out of complexity and taking care of the circumcise dances at that time .

2. I was preferring to search in the field of the orienalism but the difficulty of English language prevented me , I found that the crossian wars and orientalism are united and both of them were put to hit the Islam but each one has its own different ways although their target is the same .

3. My wish or try to challenge the new generation who is fascinated with the west and the danger of following the malicious foreign mottos and slogans which target the Islamic leaders in a meandering ways aim to scratch the ideals from our Islamic history .
4. In order to change the picture of the new ignorant educator which began to arise in a strange way out of our Islamic history and been dragged to trust the europian lies supporters .

This generation forgot the dangerous of these new wars , in other words , the continuous Islamic – crossian conflict but in a different way from his religion and provide the time to the foreign Christians in achieving the old-new targets in a less cost and more success from the past events .

This study has been divided into five chapters preceded by an introduction , conclusion and the important resources with some innexes related to zinky family , Fattimian , Ayobians and finally the abstract of the thesis in English language .

Chapter one : involved two themes , the first dealt with the lineage of the Ayoubian family and the diversity of the historians in the source of this family with the role of Najim Aldien Ayoub in its surviving , also the birth of Salah Adien and his grown up . The second theme included some special features for this family and the historical stages which it passed through.

involved two themes as well , the first was about the reformations of Salah Adien in Egypt , Army , economic and political reformations . Also his tries to expand towards the west to establish his own family state . The second theme concentrated on his relations with the Abassian caliphate , the Zinkian family , the crossians , and his great victory in the battle of Hitteen and his fight against the third crossian compaign .

chapter two : also involved two themes , the first was studying the situations of Ayoubian state after the death of Salah Adien and how to distribute the state among his sons and brothers and the conspiracies after him , from these , was the conspiracy of Sahib Khalat and the rebellion of Zinky family . The second theme eas about the struggles in the time of Salah Adien like : The kardish – Turkish conflict over the ministry , the high competition between Salah Adien and his brother Turnshah , showing the rebellion of Taky Al-Dien Aumer against Salah Adien and also study the looking forwards of Tightkien towards the power .

The third chapter : it involved two themes , the first showed the reality of struggle between Al-Adel and the king Al-dhaher Ghazy over the authority , showed how clever and hard worker was Al-Adel to ensure authority for his sone after him , also arised the lastconspiracy of Al-Afdhal against Al-Adel . While the second theme was a study for the effect these struggles on the crossian wars through the declaration of their effects on both sides (The crossian and Ayoubian) .

Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
Diyala University
Education College for Human Sciences
History Department

The Conflict of Authority in the Ayoubian house after Salah Adien and its effect on the crossian wars

A thesis presented by the student
(Ghalib Mahmoud Saaied Sameen)

Submitted to the board of the Education College for Human Science . Diyala University as apart of the requirement for fulfillment of the master degree in Islamic History

Supervised By
prof. Assim Ismaaiel Kanaan Al-Abassy

2014M **1435H**